قصص الأولين والسوالف

ح محمد بن حمد الخريف التويجري، ١٤٣٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

التويجري، محمد بن حمد الخريف

قصص الأولين والسوالف؛ المجلد الأول. / محمد بن حمد الخريف

التويجري.- الرياض ، ١٤٣٢هـ

٢٢٤ ص ، ١٧ x ٢٤ سم

ردمك ١-٦٦٥٥-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١- القصص الشعبية السعودية أ- العنوان

ديوي ٨١٣،٠٩٥٥٣١ ١٤٣٢/٤٤٣

رقم الإيداع: ١٤٣٢/٤٤٣

ردمك: ١-٦٦٥٥-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

قصص الأولين والسوالف

تأليف

محمد بن حمد بن خريف التويجري
القصيم - بريدة

المجلد الأول

١٤٣٢هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

إلى جيل اليوم...

فهذه محفوظات، لمأثورات، وعِبَر، ووقائع، وأحوال، عاشها الآباء ـ والأجداد، الأوائل، لأخْذ العِظَة فيها ـ وحتى لا تَنْدَثِر، لتدعوا لمن سجَّل لكم مآثر ماضيكم.

المؤلف

* * *

ترجمة المؤلف

* هو محمد بن حمد بن خريف بن غُدَيِّر التويجري.
* ولد في إحدى قرى بريدة عام ١٣٥١هـ.
* سافر مع والده من بريدة مشياً على الأقدام إلى مدينة الرياض لطلب العلم، وهو ابن إحدى عشر سنة، والتحق في مدرسة **(طلبة العلم)** تحت إشراف الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله، في عهد الملك عبدالعزيز آل سعود رحمه الله.
* وأقام هناك قريباً من سنة برفقة والده، فتعلم مبادئ القراءة، ثم عاد مع والده إلى بريدة مشياً على الأقدام، وكانت أحوالهم متوسطة فاشتغل بطلب المعيشة، وفي أثناء عمره عاود التعلم وطلب العلم في بريدة، فتعلم على بعض العلماء السلفيين، منهم (الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد، والشيخ صالح بن أحمد الخريصي وغيرهم رحمهم الله)، ولم يتمكن من إكمال طلب العلم لانشغاله آنذاك في طلب المعيشة، وقد قيَّض الله له أسرة وأبناء أكرموه وساعدوه في عامة أحواله وقاموا على بِرِّه، غفر الله لهم وأحسن إليهم كما أحسنوا معه.
* كان يحب مكارم الأخلاق، فجمع وحفظ آثاراً كثيرة من أخبار الأولين ووصف أحوالهم المشتملة على مكارم الأخلاق والمروءة والحِكم، وحرصاً منه وخوفاً من أن تندثر هذه المآثر مع أهلها فقد جمعها في كتاب أسماه **(طرائف ذكريات وعجائب في أحوال الأولين والسوالف)** مطبوع في خمسة مجلدات موجودة في بعض

المكتبات والجزء السادس تحت الطبع إن شاء الله (وهو هذا).

* واختصر تفسير ابن كثير للقرآن العظيم، أسماه (التقريب)، نرجو من الله أن ييسر طباعته والانتفاع به.

* وجمع نبذة من التاريخ الأخير نقله عن أشياخ أدركهم، ولم تطبع حتى الآن.

غفر الله له ولوالديه وأهله كلهم والمسلمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

الحمد لله الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم، فَضَّلَ العرب بأشرفِ الرُّسلِ وأفضل الكتب، ووعد بحفظ القرآن إلى آخر الدَّهر، أحمده وأشكره وهو واهِبُ الحمد والشكر، وأشهد أن لا إلٰه إلاَّ الله وحده لا شريك له في ربوبيته وأُلُوهيته وأسمائه وصفاته، شهادة تنافي عموم الكفر، وأشهد أن محمَّداً عبده ورسوله نبينا وحبيبنا سيد البشر، الشافع المشفع في المحشر صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه السَّادة الغُرَر النجوم الزُّهَر، وسلم تسليماً كثيراً.

أمَّا بَعْدُ: فأنا عندي معرفة شيء كثير من السَّوالف، والآثار، والذكريات، مما يعين على تثقيف النفوس، ومعرفة مآثِرِ العروبة؛ لأن النفوس تحب الوقوف على الآثار، وتتشوَّق لسماع الأخبار عن الآثار، من الغرائب، والنَّوادِرِ، والنُّكَتِ، والحِكَمِ، والفوائد، وذلك أيضاً يُعين على فهم معاني القرآن، حيث نَزَلَ القرآن في مثل ذلك، فمن لم يعرف الآثار، فقد يغلط في فهم بعض معاني القرآن، كما قال بعضهم: «إن هذه السيارة مذكورة في القرآن في سورة يوسف: ﴿وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ ...﴾ الآية [يوسف: ١٩]، وهذا لأنه لم يعرف أن السيارة المذكورة في الآية: هم القَافِلَةُ،، مجموعة من الناس، تَقِلُّ وتكثر، يسيرون في الطرق البرية، خلف الإبل أو الحمير أو البغال، ونحو ذلك، أما هذه السيارة فهي من

الصناعات الحديثة، وهذا الخطأ سببه عدم معرفة الماضي، الذي نزل في مثله القرآن.

وعامة ما أذكره من السَّوالف قد حفظته من أفواه مشايخ القَمْرا[١]، لأني أحفظ ما سمعته من وقت صِغَري فلا أنساه، وقد أسمع الشيء عِدَّة مرات، من عدة أشخاص، في أوقات متفرقة، فيكون قد استفاض عند الناس: إلَّا ما عَزَوْتُه إلى قائله فهو كما يُذْكَر، وما لم يكن صالحاً للجميع[٢] تركناه، ولهذا لا تجد فيه سالفة إلَّا وفيها فائدة في لفظها ومعناها، وتجد فيه أشْيَاءَ لَعَلَّك لا تجدها في غيره[٣]: وتجد فيه بعض الفوائد بلفظ وَجِيز، ونُعِيد بعض الكلمات بلفظ آخر (كَشَرْح)، ولا نتعرض لإصلاح بعض الألفاظ العامية، لأجل معرفة الماضي[٤].

وحيث كان كل شيء يحتاج إلى مُلْحَةٍ وتجميل، فإني أرى تَوْشِيحَ هذا الموضوع، بفوائد وحِكَم دينية، تكميلاً للفائدة واغتناماً للفرصة، فالحسنات يذهبن السيئات، وَنُدْرِجُها متفرقة بين طَيَّات الكتاب، ليكون كالبستان مُنَوَّعِ الثِّمار، لترويح نفس القارئ حتى لا يمل هذا ولا ذاك، ونَبْدَأ بذكر مُغَايرة الأحوال الأخيرة عن الأحوال والآثار القديمة، لينفتح فهم القارئ لمعرفة الآثار، ويدخل من هذا الباب.

---

(١) أهلِ القَصَصِ والسوالف.

(٢) يعني كل الفئات: رجال ونساء صغار وكبار.

(٣) وهو أغْلَبه.

(٤) وَيَتَّسِقُ لك فهمه جيّداً إذا اسْتكْمَلْت تصفحه، لأنك تجد توضيح بعض المسائل في موضع آخر.

فمثلاً: كان الناس لا يعرفون السيارات، ولا الطيارات، ولا مكائن الماء، ولا الكهرباء، ولا البترول، ولا الغاز ونحوه، وإنما كانوا يسنون على النَّواضِحِ، من الإبل أو الحمير أو البقر وعلى ظهورهم، وكذلك يحرثون الأرض بآلات تجرها المواشي، أو يحرثون بالمساحي بأيديهم، وهو أكثر عملهم، وكذلك وسائل النقل لديهم، هي: الإبل والحمير والبغال، وربما يحمل بعضهم أغراضه على رأسه وظهره، لقلة حصولهم على شيء من المواشي، في بعض الأحيان، وحين سمعوا بظهور الصناعات الخارقة لما يعرفونه، صاروا بين مصدق ومكذب، وقد كان رجال من أهل نجد يسمون «عُقيل»، يذهبون للغربية لتسويف الإبل والخيل هناك (والغربية هي بلاد الشام وفلسطين ومصر والعراق، بالنسبة لبلاد نجد، لأنهم يتغربون فيها عن بلادهم)، وفي إبّان بدء العصابات الصهيونية، لغزو فلسطين، حالة الاستعمار البريطاني، وإذا بعض رجال عُقيل حضروا هناك، ورأوا طائرة في الجو، فلما قدموا لنجد، وجلسوا في (جردة) السوق، يتبادلون السَّوالف عما رأوا هناك، قال أحدهم: «إننا رأينا الحديد يطير في الهواء»، فقال الجماعة: كذبت، فاستشهد بصاحبه، وقال: هذا مسلّم اسألوه، فقالوا: ما تقول يا مسلم، هل هو صحيح، الحديد يطير في الهواء؟ فقال: «لا، أنا ما رأيته»، فغضب عليه صاحبه حين أَكْذَبَهُ، فلما خَلا به قال: كيف أَكْذَبْتَنِي وأنت قد رأيت ذلك مثلي؟ فقال مُسَلّم: أنا لا أحب أن يُكذِّبونني مثلك، دع هذه الغرائب تأتيهم من غيرنا.

وفي عام واحد وستين وثلاثمائة وألف هجرية تقريباً، جاءت طائرة

عابرة، من الغرب للشرق، آخر الضحى، من فوق بريدة وقراها، فانزعج الناس منها وهرب بعضهم إلى بعض، وكثر الصراخ، وخرجوا من البيوت، حتى قال بعضهم، هذه صيحة القيامة، وأخبرني مَن أثق به، أن امرأة سقط ولدها من بطنها، من شدة الانزعاج من جلبة الطائبة، (وأنا رأيت المرأة تغطي جانب وجهها، تنظر إلى الطائرة وتقول: انظروا رؤوسهم فوقها ينظروننا، (يُخَيَّلُ إلى المرأة ذلك من ذهول عقلها)، حتى البهائم انزعجت، فخرجت الإبل من السواني وخربت عُدّة السواني، والبقر انزعجت وقطعت الحبال (الربط) وهربت، والبدو في البر انزعجوا وهبت إبلهم وغنمهم، إلى آخر ما حصل من ذلك الشيء العجيب، وحين بدأت تأتي السيارات: صاروا يهبون منها، حين يسمعونها من بُعد، فيختفون خلف الجدران، وخلف الأثل، ويغلقون البيوت وينظرون من فوق السطوح، مع ما يصيبهم من الخوف والرهبة منها، فأنا أدركت ذلك وشاهدته، فصاروا بعد ذلك يعللون أنفسهم ويتناقلون أثراً، أو حديثاً «أنه في آخر الزمان يتكلم الحديد ويقرب البعيد».

وأنا أدركتهم ولم تظهر مكائن الماء ولا يعرفونها، وأول ماكينة ظهرت عندنا للماء، ماكينة تشتغل على فحم حطب عادي فقط، هو مادة وقودها، يذهب رجال من الجماعة أعرفهم، يصلحون لها فَحْماً من حطب البر، وينقلونه لها على الإبل، ثم ظهرت ماكينة تشتغل على الديزل، هو مادة وقودها، فاهتال الناس منها أيضاً، وصاروا يزورونها ينظرون إليها، كما كانوا يهتالون من الأولى «كَيْفَ ماءٌ يشْتَعِل ناراً ويَعْمَلُ

بالحديد هكذا».

أما استعمالهم الإبل، فهذا شيء عادي قد نشأوا عليه، فيذهبون به، ويأتون به، ويُنِيْخُوْنَه ويركبونه، حتى كانت بعض البنات والنساء تشْمُر (تقفز) على ظهر البعير وتركبه، حتى وهو واقف، وهو يمشي، فكيف الرجال والولاد؟ ويحملون أثقالهم عليها، أسهل من حملهم على شاة.

أما المادة الاقتصادية عندهم، فهو الإنتاج الوطني، (التمر واللبن والقمح والشعير والدخن وغير ذلك)، مع اعتياد الاقتصاد في المعيشة، فإذا حصل لأحدهم ملء كفه تمراً أو نحوه كفاه نهاره كله، وليس كلهم يجدون تمراً في بعض الأزمان، وربما يحصل عليهم في بعض الأوقات مسغبة جوع وشدة خوف، وَحِصار وقتل ونهب بسبب مُغايَرَة الحكام (الملوك)، يأتي هذا الحاكم فيستولي على البلد، بعد قتال ونهب، ثم يأتي الحاكم الآخر، فيحاصرهم ويحاول الاستيلاء عليهم، وقد يعاقبهم على مُوالات الحاكم الأول، فلا تزال البلاد مُضْغَة آكل، حتى قَيَّض الله الملك عبدالعزيز رحمه الله تعالى، فحكم البلاد ووحدها، إذ لم نعرف في التأريخ، مثل ما حصل لنا في هذا الزمان، في ولاية آل سعود والحمد لله، والله أعلم.

سئل ابن المقفع عن البلاغة؟ فقال: هي التي إذا سمعها الجاهل ظن أنه يحسن مثلها.

قيل:

خطـــو الحَليلـــه تِقِـــلْ دَرِّه　　　تْـسَلِّيك عـن بعـض الأحـوالي
وخطـــو الحَليلـــه كِفـــىْ شره　　　تحـدث عـلى كبـدك الْقـالي

وقيل:

أحــــدٌ عنـــده عـــذراً زينـــه　　　قاعـــــد ومْبَـــــصِّطْ في داره
إن جَـــاب شْــوَيٌّ قَنْعَـــتْ بـــه　　　وإن مَـــا جـــا شِـــيْنٌ عَـــذَّارِه
واخْـــدٌ عنـــده شِـــيْبَةْ غـــار　　　انطـــل مـــن عنطـــل جـــواره
يـــسمع حِـــسَّهْ مَـــنْ بـــالمجلس　　　تزجـــر كِنَّـــهْ في مِنْطـــارِه
عـــساك مـــا تـــبلى بالعاقـــه　　　أَجـــارك ربي بـــاجواره

(ومن أمثال: زَيْن العَيْن):

الطِّيْـــب مـــا يجـــي بـــبلاش　　　عَيَّـــا ابـــلاشٍ يجيبـــه
يـــا كـــود بفعـــل وخـــسارة　　　وشيء مـــن مالـــك تـــصخى بـــه

* * *

رؤيـــا صالحـــة

أخبرنا رجل ثقة يقول: كنت متغرباً في إحدى المدن الكبار أعمل في طلب المعيشة، وأنا عمري نحو العشرين سنة، أسكن في بيت وحدي، وقد سمعت قول الله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾(١). فخفت واتعظت بها، فكانت أمامي دائماً فأحرص على الصلاة مع الجماعة في المسجد ويهمني الاستيقاظ من النوم لصلاة الفجر، فاستيقظت يوماً متأخراً فذهبت للمسجد مسرعاً وإذا هم قد صلوا الفجر فدخلت وصليت وحدي واستندت على العمود فنعست بالنوم وأنا جالس قبل طلوع الشمس، فسمعت هاتفاً من فوق المسجد من جهة السماء يقول: «ذهب الناس يستبقوا وتركوا عبادتنا»، فنظرت إلى الناس وأنا في الرؤيا وإذا هم يركضون، فاستيقظت وإذا الناس هكذا في اليقظة من حين يصبحون وهم في حركة جيدة ونشاط للدنيا ومصاحبة أهلها في الصناعات والأحوال الحديثة أيًا كانوا، وأما في أمر الله وعبادته في المساجد والابتعاد عن أعداء الشريعة فلا تراهم إلا قليلاً. وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا وحول ولا قوة إلا بالله. انتهى.

* * *

---

(١) سورة ق، الآية: ٤٥.

الغرام في الحب

كان عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قد تزوج بزوجة ذات جمال وخُلُق جميل فأحبها حب غرام، وهي أحبته كذلك، فقعد عندها فخشي أبوه أن تذهب بعقله فأمره أن يطلقها وعزم عليه فطلقها، ولكنه سقط مريضاً وقال:

فوالله لا أنساك ما ذَرَّ شارق ... وما ناح قِمْري الحمام المطوقُ
فلم أر مثلي طلق اليوم مثلها ... ولا مثلها في غير شيء يطلقُ
لها خُلُق عَفّ ودين ومحتد ... وخَلْق سَوِي في الحياء ومنطقُ

فسمعه أبوه فأذن له فراجعها فبرئ واستقامت حاله معها فقتل في الغزو بعد مدة فحزنت عليه وقالت ترثاه:

فآليت لا أنفك نفسي حزينة ... عليك ولا ينفك جلدي أغبرا

ولكنها سَلَت عنه بعد مدة فتزوجت رضي الله عنهما.

وتزوج رجل بامرأة هنا ولكنه صار عِنِّيناً لم يصل إليها بشيء فأمضت معه ثمان سنين على غير شيء، ثم اقترحت قصيدة قالتها على مسمع منه قالت:

يا حَيف يا رجل شرى له معاميل ... ذا له ثمان سنين ما دق فيهن
إما يُسويهن سوات الرجاجيل ... وإلا يخليهن المن يعتنيهن

فلما سمعها قال: بَيَّض الله وجهكِ على صبركِ هذه المدة فطلقها رحمهم الله.

والمعاميل: هي أواني عمل القهوة، كناية عن نفسها. انتهى.

وإليك شيء من وصف أحوال الأولين

وقد بسطنا ذكر أحوالهم وقصصهم في المجلدات السابقة فمن ذلك هنا: فليس كل وقتهم جوع ومشاكل، بل هم تارة وتارة.

فإذا أتاهم المطر والربيع أرغدوا وشبعوا، وإذا تأخر عنهم المطر أجدبوا وجاعوا؛ لأن عامة أسباب معايشهم على الله ثم على المواشي، فتهزل المواشي، ويقل اللبن والدسم وتنشف الأجساد مع قلة المطر.

وليس كل وقتهم خوف وحروب، بل تارة وتارة، فإذا كان عليهم حاكم أمنوا وامتدوا واستراحوا، وإذا حصل تصادم بين الحكام فهناك جحيم تلظى. وكانت لهم مكارم أخلاق يطول تعدادها قد بسطناها سابقاً وقد تظهر علامات أخلاقهم بسيماها على وجوههم يعرفها أهل الفراسة، كما قيل:

وقَلَّ أنْ رأيت ذا لقب   إلا ومعناه إن فكّرت في لقبه

فمن أبرز أخلاقهم: الصبر والتحمل والتعاون وتوقير الأكبر، كما قيل:

وصغيرنا يعرف وَقار المسِنِّين   أوْلا هو كَسول إيلا زهمته تونّى

فكان الابن ينشأ عند أهله يعمل لهم، ويكبر وهو تحت أمرهم، وإن ذهب يعمل مع الناس فما استفاده أتى به لأهله، أو يرسله لهم إذا كان بعيداً، (لا يدَّخر شيئاً وأهله يحتاجون)، وكانوا يتحملون الجوع والتعب والظمأ وتجشم المخاوف ليلاً ونهاراً، في البر وغيره، وذلك بسبب

الممارسة من صِغَر.

كان جماعة يبنون جداراً بالطين ولَبِن الطين، فالسِّتاد يركب على الجدار جالساً والجماعة تحته يزقفون عليه اللبن والطين، ولابد أن الذي يزقف اللبن يكون رجل قوي لأجل ترتفع اللبنة فوق الجدار بمحاذات وجه الستاد الجالس على الجدار، وهو يُعدِّلها بنزولها على الجدار، حتى لا تتعبه بجذبها، وإذا لم ترتفع هكذا باعتدال تركها ترجع على صاحبها.

فهذا المساعد حين شَمَرَ اللّبنة لم ترتفع على العادة المطلوبة فتركها المعلم ترجع. ثم أخذوا يهزبون المساعد حيث عجز جهده عن رفعها فقالوا: «أخس كيف تقصر لبنتك وأنت آكل عشاء قبل البارحة».

كذلك: لم يكن مخصباً نمو الناس ذاك الوقت مثله هذا الوقت، فالناس إذ ذاك قليل، ولم يفش المال ولا الحركة هكذا، ولم تظهر الصناعات، بل هم يركبون ويحملون على الإبل والحمير. وكذلك الحرب: على الخيل أو على أرجلهم، كما قال الأعشى الشاعر:

قالوا الطِّراد كلنا تلك عادتنا — أو تنزلون فإنّا معشرٌ نُزُلُ

فالطراد: هو اللقاء على الخيل، والنِّزال: هو اللقاء على الأرجل.

أما الحج: فكانوا يحجون على الإبل، والمرأة معهم يحملونها بالكواجه شبه غرفة، وهي أعواد محنية على قاعدة من خشب، ويوضع عليها ستارة، تجلس المرأة وسطها، تعلق على جنب البعير، يعادلها كواجة ثانية أو شيء من العفش. وسيرهم من هنا إلى مكة نحو عشرين يوماً، ويجتمعون مجموعات يتساعدون ضد الحرامية، فلما حكم الإمام عبدالعزيز آل سعود الحجاز أمّن الطريق بفضل الله تعالى.

ثم ظهرت السيارات: وأولها نوع الفرد، لوري قديمة، لا تأتي هنا إلا تعبانة من الكَد، قد تتعطل في الطريق عدة مرات، والأديتر يفوِّر والكفرات تبنشر، وينفخونها بطرنبة يدوية، والتشغيل بالهندل أو يدفونها دفاً ما يعرفون السِّلف ولا من يصلحه ولا عدة لإصلاحه، وإذا تعطلت في الطريق ذهب السائق مع السيارات يأتي لها بعدة ويبقى الركاب عندها ويتطلبون من الناس المارين إسعافهم بالماء والطعام.

والركوب على ظهرها بالصندوق مكشوفاً، تكون النساء في مقدم الصندوق، فأنا حججت هكذا عام ١٣٦٩هـ، بعد بلوغي، فكنا سبعين راكباً بالصندوق، فنركب نحن الخفاف على جوانب الصندوق على وقاية، وكان الطريق صحراوي غير معبد، فتسير السيارة على مطبات وميلات وبطناج وغبار يعلو السيارة في بعض المواضع حتى لا يبصر بعضنا بعضاً، فإذا نزلنا جعلنا نقشر طين الغبار من وجوهنا بأيدينا ويدخل الغبار في أجوافنا مع النفس ولا يضرنا. والسائق لابد أن يكون معه آخر يساعده في أعمال السيارة، ويبرِّح لها حالة التغريز ويشغلها بالهندل، ويقود السيارة عنه إذا تعب.

قيل: تعب السائق مرة في بعض الطرق، فأعطى المعاون يقود السيارة عنه وهو طلع فوق ظهر السيارة فوق الحمولة ونام، وفي إحدى الميلات قذفته السيارة بالأرض، فجعل بعض الركاب ينادي بعضاً في الظلام (طِقْ على المعاون طاح السواق، طِقْ على المعاون طاح السواق) فيضربون سطح الغمارة ليقف.

الحاصل: أننا قطعنا الطريق بثلاثة أيام على هذا الحال، ولما وصلنا

مكة نزلنا فيها نحن في حوش ترابي في حارة (بئر الحمام) أجرته مائة ريال أيام الحج كلها، فيه غرفتان واحدة للرجال وواحدة للنساء، وأخويانا كذلك حولنا، حيث كان الناس قليل وينزلون بالبيوت وسط مكة ولا يخرجون إلا يوم التروية اليوم الثامن، وكل الحجاج ينزلون في نصف منى، وشبك المسلخ في نصفها الجنوبي الشرقي.

وليس بمكة ولا المشاعر شبكات ماء، وإنما تصب عين زبيدة والعزيزية إذا وصلتا مكة في مجابي شبه آبار مصنوعة في أحيائها، ويستخرجونه بالدِّلي، وإذا خرج الناس للمشاعر تفتح لهم البلدية فتحات في ظهر عين زبيدة، ونجذب الماء منها بالدلو ونعبئه بالقربة ونحمله على ظهورنا للمنزل، وقد نزلنا غربي منى جنوب قصر المصري جنوب مسجد الخيف، وإذا ليس بمنى ماء فنصعد على الجبل الغربي الجنوبي وننزل على حوض البقر (العزيزية حالياً) خلف الجبل حيث مجرى عين زبيدة قد فتح فيها فتحات، فنمتح الماء منها متحاً نعبئه بالقربة ثم نحملها على ظهورنا ونصعد الجبل في مسهل طريق فيه وننزل على منى. وقد حملنا معنا حطباً من الشجر في الطريق، ونشتري إذا نفد، لأنه لم يظهر الغاز إذ ذاك.

فتلخص من ذلك أن الوصل إلى مكة كان شاقاً، والزحام في المشاعر خفيفاً، فالنساء تقف على الحوض وترمي جمراتها هي، وتطوف وتسعى وتقبل الحجر أحياناً ولا ضرر عليها فضلاً عن الأقوياء، فلما تسهلت الطرق وتطورت السيارات وتوفرت وسائل الحياة وانفتح الباب لأهل الخارج فكثر الحجاج حصل الزحام في المشاعر.

وكانت أحوال الناس بسيطة، وأنفسهم لا يغالون بها، فليست بهم أنانية، وكلٌ يعترف بمستواه ويقنع بما حصل، ولا يخاف أحدهم من الشدة بل يوطن نفسه عليها، ولا تتألم نفسه منها، لحيث قد نشئوا عليها. كما قال الشاعر الخلاوي:

يا طول ما وسّدت رأسي قتادة   من خوفٍ يعتاد لين الوسايد

والقتاد شجر بَرِّي به شوك، وهذا كناية عن تحمل المشاق. وتجد نفوسهم مرتاحة ليس لهم هموم بعيدة. وسبق أن ذكرنا أنه جاء رجل زاهد في ناحية البلد في القديم فوجد عيشاً ملقى بالفضاء وكان جائعاً، وإذا كلب يأكل من ناحية العيش، فأدلى هو يأكل من الناحية الثانية، فجعل الكلب يَنُحُّ عليه يهوش عادة الكلب يهوش على الأكل، فقال الرجل: لا تنح يا كلب كُلْ مما يليك وأنا آكل مما يليني فإن كنتُ في الجنة فأنا خير منك وإن كنت في النار فأنت خير مني. ولما امتد حكم آل سعود وظهرت الصناعات وأرغد العيش ومال الناس إلى اللّين والنعومة وتركوا شد العزم: صار بعضهم يُهَجِّن هذه الحالة (كما قال بعضهم يعلّق عليهم).

حنا غزينا على الصلصة   وصار النّكوفة على الفوره

والفورة عندهم هي المزّة هنا، وكان وجودها قليل، والنكوفة ـ والإنكاف هو الرجوع من الغزو مع إكمال أعماله، وقد بسطنا وصف أحوالهم فيما سبق. انتهى.

كذلك قوة العزم للمروءة

أخبرنا رجل ثقة كبير السن يقول: كانت امرأة يقال لها: أم زايد، من أهالي خضيرا من ضواحي جنوبي البلد، تخرج في الصباح المبكر للبر المسمى الضاحي وتأتي بحزمة من الحطب من الشجر على رأسها وتضعها عند بابها وتستريح وسط النهار ثم تصلي حين أذان العصر ثم تحمل الحزمة على رأسها تذهب بها للبلد وتجلس في ناحية السوق مع النساء اللاتي يبيعن حطباً وعلفاً وجلّة ونحوه، فتبيع الحزمة بنحو ثلث ريال أو نصف ريال وتشتري به طعاماً ثم تخرج، وقد أتيت معها بِقِدْرِ الماء، فتذهب لموضع الماء الحلو بمحلة الصباخ يبعد عن محلها نحو ثلاث كيلو متر، فتملأ القدر ماءً وتأتي به على رأسها لبيتها بخضيرا وإذا من جيرانها ثلاث نساء مضرورات (عمياً ومقعدة وعاجزة وهن فقيرات وأرملة)، فتسقيهن من الماء الذي أتت به وتطعمهن من الطعام الذي اشترته بقيمته الحزمة (الحطب)، فهذا دأبها كل يوم حتى فرقهن الموت، فالله المستعان. انتهى.

*   *   *

منافع الأولاد لأهليهم في القديم ومن صَبَرَ ظفر

كان هناك فلاح نخل، وكانت أحواله ضعيفة، إلا أنه ليس عليه دَيْن، فكانوا يُمَضُّون أحوالهم بدون دين، فيزعبون الماء زعباً لسقي النخل، يجتمع الأب والأم والأولاد فيسحبون الرشا به الماء على متونهم وظهورهم، فيتعبون ولا يحصل ماء يكفي النخل فيكون جهود النخل ضعيفة وثمره (التمر) صغار ناشف.

وكان حولهم رجل تاجر، يحب أن يأخذ منه هذا الفلاح دَيناً يشتري له بعارين يسقي نخله عليها، والفلاح الفقير لا يصغي إلى قوله؛ لأنه لا يرغب الدَّين.

وذات يوم جلس التاجر مع الفلاح في مجلس قهوته، وأتى الفلاح بتمر مع القهوة، إذا هو صغار ناشف، فاغتنم الفرصة التاجر، وقال: انظر تمرك كيف هو! فلو أخذت منا بعارين تسقيه لكان تمره كباراً، فقال الفلاح: «يا رجل، تمري صغار في جُصَّتي، ولا كبار في جصتك». يعني: أنه إذا أخذنا منك ديناً صار التمر لك بدينك تدخله في جصتك والجصة هي ظرف كبير يضمد به التمر.

وكان للفلاح ابن صغير (جذع) سمع كلام أبيه مع الرجل فانبعثت له شهامة في الحمية لأبيه وأهله، فاستأذن أباه أن يعمل عند بعض الجماعة بالأجرة في عمل السواني؟ فذهب الأب واتفق له مع بعض الجيران الطيبين (الشهر بريال) فعمل عندهم، وكان حازماً فرغبوه، وبعد مضي عدة شهور اشترى من مُعَزِّبه ناقة لأهله بعمله عنده سنتين، واستشار أباه

في ذلك؟ ففرح أبوه ودعا له بخير، فأخذها أبوه وعملوا عليها بالسواني فاستراحوا شيئاً. وبعد مضي السنتين زادت أجرته إلى عشرة ريالات، كما قد زادت قيمة الإبل شيئاً، فاشترى ناقة ثانية لأهله كذلك بعمله سنتين، فاستراح أهله وروي النخل وجاء تمره كباراً وأخصبت المزرعة، ثم بعد ذلك كَبُر وتزوج عند أهله وقام بعمل الفلاحة عن أبيه، وقد سلموا من الدَّين وهكذا سار الأولاد ذاك الوقت. انتهى.

* * *

مثال الدنيا معك

كان نبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام عامة وقته يسيح في الأرض يدعو الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

قيل: ومرة صادفه في طريقه رجل وقال: إني أريد أصحبك يا نبي الله؟ فقال عيسى: لا بأس، فمشى معه، وكان مع عيسى ثلاثة أرغبة (خبز) فقال للرجل دوكها: احملها معك، فحملها الرجل، ثم أكل رغيفاً منها خِفية عن عيسى، ثم قال عيسى: نريد نتغدا هات الأرغفة، وإذا هي اثنان، فقال عيسى: أين الرغيف الثالث؟ قال الرجل: لا أدري، قال: أنت أكلته. قال: لا. ثم سارا فاستخرج عيسى أرنباً من مخبئها وقال لها: موتي بإذن الله، فماتت. ثم قال لها: أحيي بإذن الله، فحييت. فقال له: أسألك بالذي أماتها ثم أحياها: مَن الذي أكل الرغيف؟ قال: لا أدري. فسارا فأتى على حثمة من جبلٍ فوقف عندها وقال: كوني ذهباً بإذن الله، فكانت ذهباً، ثم قال: انقسمي ثلاثاً بإذن الله فانقسمت، فقال عيسى للرجل: إنا سوف نقسم هذا الذهب، فسهم لي وسهم لك، وسهم لآكل الرغيف، فقال الرجل: أنا أكلت الرغيف، فقال عيسى: أنت أكلته؟ قال: نعم، قال: لك الذهب كله أنا لا أريده.

فسار عيسى في سبيله وبقي الرجل عند الذهب يريد يحوزه.

فأتاه رجلان وقالا: لمن هذا الذهب؟ فقال الرجل: إنه لي. فقالا أشركنا فيه! قال: لا هو مالي لا حق لكما فيه. فجلسا عنده يراجعانه يشركهما، فأبىٰ.

ثم قالا له: إننا جياع فاذهب إلى البلد فأتنا بطعام ونحن نحرس ذهبك حتى تأتي وألزموه، فذهب واشترى خبزاً، وقد عرف أنهما سوف يغلبانه على الذهب، فاحتال لإهلاكهما، فجعل في الخبز سُمًّا ليأكلوه.

فلما أتاهما بالخبز قاما عليه وقتلاه، ثم أكلا الخبز المسموم فماتا، وبقي الذهب مكانه، بعد أن تهالكوا بسببه. فلما رجع عيسى وإذا هم هلكى حول الذهب، فقال: هكذا الدنيا تفعل بأهلها. انتهى.

* * *

نوادر في بر الوالدين والصلة

كان عبدالله الثويني بارًّا بوالده، وإذا أراد يعطيه بريرة (فلوساً) ونحوها يضعها له تحت وسادته أو في دولابه أو في روزنة البيت ونحوه ثم يقول له: يا أبي تراني وضعت لك قليلاً من خَرْجِيَّة في موضع كذا. فقيل له: ألا تعطيه إياه بيده؟ فقال: إني أخاف أن ينهضم عندما يأخذ (والخرجية هي الفلوس التي يخرِّج منها حسب حاجته).

كذلك

كان رجل له ثلاثة أبناء، وكانوا يكرمونه غاية الإكرام، وحين ظهرت المياه في نجد وبدأت تتطور الزراعة، وإذا الحكومة ذاك الوقت تُقطع الأرض الزراعية بالكيلوات وتساعد على إحيائها. فقام أولاد الرجل واستقطعوا أرضاً كثيرة خصبة وجعلوها باسم أبيهم، واستعمروها بالزراعة، فراقت بأعين الناس، وقالوا لهم: ألاّ جعلتم هذا الملك باسمكم أنتم لا باسم أبيكم حتى لا يشترك معكم أخواتكم فيدخلن عليكم أزواجهن؟ فقال الأبناء: حنا رضا والدنا أغلى عندنا من المال.

كذلك

كان رجل هنا بارًّا بأمه، وكانت لا تحب زوجته وهم في البيت جميعاً، فكان يقدم أمر أمه ورضاها على زوجته مهما كلف الأمر.

وحين مرضت أمه وحضرتها الوفاة أوصته قائلة: إذا أنا مت فلا تدخل فلانة غرفتي! فلما ماتت ودفنها قام على الغرفة فهدمها وكان البيت من الطين، وترك أنقاض الغرفة وسطها حفاظاً على وصية أمه، فأنا رأيت الغرفة هكذا بعد هدمها.

كذلك

قيل: كان رجل مرض أخوه في رجليه، فتوقف عن المشي، فصار أخوه يحمله على ظهره يذهب به إلى من يظنه عنده له علاج، وهو فقير ليس عنده بعير، ولا حمار يحمله عليه، ثم ذُكِر له لقمان الحكيم أنه يعالج، فحمله على ظهره حتى وصل لقمان فوضعه عنده وطلب منه أن يعالجه وأعلمه بحاله، فنظره لقمان وقال ليس له علاج، فتضرع إليه الرجل واسترحمه، فقال لقمان: لا تتعب نفسك علاجه غير موجود.

فحمل الرجل أخاه ورجع به، وفي أثناء الطريق وضعه يستريح، وإذا هناك إبل ترعى، فقال لأخيه: إني سوف أذهب إلى راعي هذيك الإبل لعلي أجد عنده حليباً يمتعنا به، فوضع أخاه هنا وذهب إليه وطلب منه حليباً فحلب له فشرب، ثم قال الرجل للراعي: أنا معي مريض وضعته هناك وأريد له حليباً من فضلك؟ فقال الراعي: هات إناء وخذ حليباً، فذهب الرجل يتطلب حوله لعله يجد شَنَّةَ قربة ملقات أو جلد بعير ميت ونحوه، فوجد عظاماً منتثرة، وإذا فيها عظم شبه قدح، فأخذه وأتى به لراعي الإبل، فحلب له به، فأخذه ورجع به لأخيه، فوجده نائماً، فكره أن

يوقظه، فوضع الحليب عند رأسه تحت الشجرة، لأجل إذا استيقظ يشربه، وهو نام تحت شجرة ثانية، فاستيقظ المريض وبلج عينه وإذا الحليب عند رأسه ولكنه قد خرجت حية من جحر تحت الشجرة وكرعت بالحليب تشربه وهو ينظر حتى شربته كله، ثم قائته من بطنها في مكانه، فتأسف المريض وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، قد تعب أخوي عليّ يحملني على ظهره مسافات بعيدة، وأتى لي بهذا الحليب وسلطت عليه هذه الحية تمزجه بسمها، ألآ أشربه لأموت يستريح أخوي مني، فعزم وشربه، وجعل يتشهد للموت لا إله إلا الله ـ لا إله إلا الله، فلانت أعصابه ووجد راحة، وجعل يمد رجليه ويديه، ثم همّ بالقيام فقام، ثم همّ بالمشي فمشي، وجعل يدور حول أخيه يتمرن، فاستيقظ أخوه فرآه هكذا فارتاع له، ظنه قد أكره نفسه على المشي، فقفز إليه بسرعة يمسكه (بسم الله عليك يا خَيِّي، بسم الله عليك يا خَيِّي). فقال أخوه: لا لا ما عليك يا خوي ما عليك يا خوي، أنا طبت لله الحمد، فارتاح الرجل وقال كيف؟ فأخبره خبر الحليب فتعجبا من قول لقمان (علاجه غير موجود)، وهو الآن برئ من حليب ناقة.

ثم قالا: لو رجعنا إلى لقمان نناقشه في ذلك، فرجعا إليه وكلماه؟ فقال: هذه أسباب جمعها الله لكما، (حليب ناقة بكر، في عظم رأس بنت بكر، في سم حية بكر، فاشكرا الله على ذلك). انتهى وليعلم أنه لا يجوز أن يقتل الإنسان نفسه بأي سبب من الأسباب فمن قتل نفسه فهو في النار.

كذلك

أخبرني رجل كثير المشاوير مع الناس: يقول أتيت رجلاً في محله في بعض القرى وقت الصباح وإذا قد أوقدت النار في المجلس البرّاني بالفضاء وعندها بعض أولاده فأتى قريباً فقام أولاده يقبلون رأسه ويحفون به، فقلت له: غيبتك هذه بعيدة؟ قال: لا، أنا الذي قد قبست هذه النار، ولكني وصلت غرضاً لي ورجعت، فقلت: إني رأيت أولادك يقبلونك ويحفون بك؟ فقال: هذه عادتنا. (قلت): فالأولاد يتعلمون هذا من أمهم إذا كانت تحترم الأب وتباشره وتَحْفُ به وتوصي أولادها بذلك، أو يتعلمون منها ضد ذلك من عدم احترام الأب وعدم المبالاة فيه، كما هو حال كثير من العوائل اليوم، وهذا يمحق بركة العائلة ويقطع الصلة.

وهناك رجل أعرابي في البادية بارّ بأبيه، قد وقف نفسه على خدمة أبيه إذ كان شايباً، وذات يوم في وقت القائلة، ذهب الأب يقضي حاجته في البراز، فلماجلس على الأرض وصلت مُقْلُه (خِصْيَانُه) الأرض وهي حارّة فقفز، وإذا ابنه خلفه يبصره، فساقته الحمية لأبيه، فأتى بسرعة وأدخل يده من تحت أبيه ورفع خصيانه بكفه عن الأرض، فقال أبوه: (اعْقُبْ، والله ما فعلتَ معي شيئاً من البر إلا وأنا قد فعلته بأبي إلا هذه فقد سبقتني عليها). فهذا الخبر قد شاع وتواتر عند عامة البادية لا ينكره منهم أحد فيما نعلم.

قوله: اعقب، هي كلمة عامية، يراد بها التشجيع والتعجب عندما يفعل الإنسان أمراً جيداً مباغتاً. انتهى.

(شُكر الجميل)

يجب أن يُشكر صاحب الفضل والجميل ويُثنىٰ عليه خيراً. مكافأة له وترغيباً له ولغيره في الازدياد من الفضل كما قال فيه الشاعر.

.... ويثنىٰ عليه بالجميل ليزدد

وقال الآخر:

الطيب ورثك ما شريته بالأثمان مِتْسلسل من نبع ناس عريبين
الطيب ساسك وأنت للطيب ديوان قول صحيح ما يبي له براهين
لبسٍ من طيبك على الرأس تيجان تاج قوي سدد حقوق الدياين

والعريب في الحقيقة هو صاحب الفضل والخصال المحمودة. وليس هو عريب النسب ولو مع فقد صنائع المعروف كما تزعمه بعض العامة.

وقال شاعر نبطي في صاحب الفضل والمعروف أيضاً:

هني من رافق من الناس شرواك يعيش طول العمر والراس مرفوع
تبقى عزيز وتعجبني مزاياك ياللي بيمناك أجْزَل الطيب مطبوع
عسى البلاوي والمصايب تعداك تصيب ناس عنهم الطيب مقطوع

وقال زين العين:

الطيب ما يجي بابلاش عيّا ابلاش لا يجيك
يا كود بفعل وخسارة وشيء تنطيه من يديك

انتهى.

تابع الزوجة الصالحة في الأخلاق والسيرة

حدث رجل ثقة، أنه كانت عنده زوجته في بيته، وذات صباح أتى أهلها وقالوا له: نريد فلانة تذهب معنا تساعدنا على حصاد الزرع (القمح)؟ يقول: فقلت لهم: أنا ما عندي أحد ولا أستطيع أسمح لها تذهب. يقول: فلبست هي ثيابها وذهبت معهم وتركوني، فكبرت عليّ المسألة، فلبست بشتى من ساعتي وذهبت للسوق واشتريت لحمة وقهوة وحملتها على متني وخرجت لضواحي البلد الغربية. حارات أرياف، أسير على غير اتجاه.

وفي آخر المنطقة مررت حول أهل فلاحة فقراء يعملون السواني على ناقة واحدة ويزعبون الغرب الثاني زعباً على متونهم، يجتمع (الأب والأم والولد والبنت) يتساعدون فيه. وحين رأيت الرجل استسمحت وجهه وفي المثل (استسمح الأوجيه واسترزق الله) فأحببت أن أسأله عن حاجتي، فقلت: «السلام عليكم، يا الله قوّهم، نعاونكم؟» فرد الرجل السلام وقال: توكل على الله العَوْنَة ما تعاف (وهذا الكلام والجواب معروف عند الناس في القديم: يقول فوضعت بشتي فيه اللحمة والقهوة ودخلت المنحات أزعب معهمن والنساء متسترات، وبعد ساعة قال الأب: خلاص انتهينا. فبطلوا العمل وخرجت النساء للبيت وقال: اقلط يا رجل للقهوة، فقلت نعم، وهذه لحمة معي فأعطيته إياه والقهوة، فأخذها وقال: تفضل أقلط، ثم عمل القهوة، ثم عرضت عليه موضوعي. قلت: «أنا عليّ حاجة زوجة، فلعلك تدلّني على عائلة تنصح لي بهم» فقال:

وصلت إلى خير، هذه البنت التي رأيتها تزعب معنا نريد نزوجك إياها إذا هي تصلح لك؟ فقلت: الساعة المباركة هي فوق اللازم، ولكن أنا متعطل بيتي ما فيه أحد وأريد أرجع بها هالحين، فقال: نعم، فأعطيته مائة ريال معي، وقلت: هذه اشتر بها ناقة ثانية للسواني. فقام الرجل واستدعى المطوع (الخطيب) وشاهد آخر فحضروا القهوة والغدا، وعقدوا لنا الملاك وذهبوا، فأركبها أبوها معي على زاملة ورجعت بها من يومي وهو أتى معنا ليعرف محلنا ويرجع بزاملته وبتنا في بيتنا بأحسن حال والحمد لله. فلما أصبحت ذهبت للمطوع (الخطيب) وكتبت طلاق الزوجة الأولى وأرسلته لأهلها. انتهى.

* * *

قد يعيشون على الجراد

حدث رجل ثقة، يقول: ذهبت مع بعض رجال عُقيل للغربية، فوردنا بعض الموارد في شمالي بلدان نجد، وعليه ناس قليل من أهله، وإذا وجوههم يظهر عليها أثر الجوع والمسكنة، فنزلنا به نسقي ونشرب كالعادة، فأتى إلينا رجل منهم ويمشي خلفه بنتان كالغزلان، فقلنا له: تفضل يا رجل للقهوة، فجلس يتقهوى، ووقفت البنتان هناك، فقال: يا رجال، ما منكم أحد يريد يتزوج تأخذون هالبنات تتزوجهنّ، حنا على خطر هلاك من الجوع؟ يقول فسكت أصحابي، فأردت أنا أجبر خاطره، فقلت: والله حنا الآن ذاهبين للغربية ولكن إذا رجعنا إن شاء الله نمرك ونأخذهن بحول الله. يقول وأعطيناه شيئاً من زهابنا (طعامنا).

يقول: فلما رجعنا بعد شهرين نزلنا عليهم فتطلبت الرجل فوجدته، وإذا وجوههم قد أسفرت وزال عنها أثر الجوع، فسلمت عليه وقلت له: قد أتينا من الغربية ونحن راجعون لأهلنا إن شاء الله ونريد البضاعة التي عندك. فتبسم يضحك وقال: لا والله يا خوي حنا أغنانا الله اليوم، والبنات نريد نزوجهن من الجماعة عندنا ما نريد يبعدن عنا. يقول: فقلت: ما شاء الله ما هذا الرزق الذي أتاكم الله به؟، فقال: جاءنا الجراد ذات ليلة وبات عندنا وصار البرد عليه شديد، فلما أصبحنا جعلنا نجمعه مثل أكوام العلف، ونطبخه، فملأنا منه الأكياس والبيوت وشعبنا والحمد لله.

وهذا كما ذكرنا سابقاً: أوصى رجلٌ رجلاً يخطب له زوجة فقال الموصىٰ:

وين أنت يوم البيض تشري وتنباع يوم منبـوزة إلا وراك بامحمديّة

فقال الموصي:

ذاك يـوم النـاس كلهـا أجيـاع ودي بمرصـاع ولا عَـسْوِجيَّه

انتهى.

* * *

القعير ـ والخوير: عزم وحزم

احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجَزن.

كان رجل هنا يقال له: (القعير) وكان من أهل العزم والحزم، وكان غنيًّا ذو شأن، وكانت له مزرعة نخيل ومزارع في ناحية البلد، وكان يعمل بها هو بنفسه مع أهله وعامله، فمر به البازعي وهو يعمل بالسواني، فاستكثر عليه العمل بنفسه فقال: لماذا أنت تسني يا أبا فلان؟ فقال القعير:

ما نيب طير منه السبوق مقصوص ... يا البازعي يا حِلُو كَدْ الحلال

إيلا استتم الغرس وامجَهْجَل الخوص ... يقول ردي الحَيْل يا ليتها لي

وفي المثل (التمني رأس مال المفاليس) مثل قول: ردي الحيل يا ليتها لي، فهذا التمني مع الكسل لا يأتي بخير. فلابد من عمل الأسباب بعزم كحال هذا الرجل، والله الموفق.

كما قال الشاعر النبطي:

مَن لا يحوش المرجله من مبداها ... أخيراً إيدورها ولا يلقها

فهذا شعر عامي ولكن معناه جيد ومفيد، فهو يحث على الحزم والعزم واهتمامك لنجاحك في الأمور في المستقبل واكتساب الشرف والمجد.

كذلك

راعي الخوير لما غرس به نخل وطلع النخل زاد عزمه فبنى عليه سواراً وجعل فيه مقاصير للحماية، ثم أخذ يتمثل بحاله فقال:

سَمَّيْت واركبت المحّالَه على البير   وغرست بالبطحاء أوساع الخوافي

وبنيت سور وخطيت به مقاصير   من خوفٍ عقب الركود يجي اختلاف

ولكنه جرى له قصة مع أمير حايل بسبب الكلمة الأخيرة، لأن الناس وَشْوا به عند الأمير، وقالوا: (راعي الخوير حرّاب يالأمير) وأخبروه بقصيدته، فاستغضب الأمير، وأمر أحد أخوياه أن يذهب للخوير يقتله ويهدم قصره ويقطع نخله.

فركب الخوي ومعه اثنان من الخويا، فقدموا على الخوير في محله، قدوم عادي بدون إزعاج وإثارة سواكن. فاستقبلهم الخوير بالإكرام والترحيب وذبح لهم ذبيحة جيدة عادتهم للضيف، لاسيما رجال الأمراء يهتمون بهم أكثر، وباتوا عنده على أُنس وسوالف، وفي الصباح بعد القهوة أخبروه خبرهم. فقال: (أعوذ بالله من البلاوي) ثم قالوا: فما رأيك بالموضوع؟ فقال الخوير للخوي: لو أنت بعيد عني عنيت إليك استشيرك فأخبرني أنت بالرأي، فقال الخوي: خذ معك كفنك واركب معنا وندخلك على الأمير ثم أنت تعرف تعتذر. فقال الخوير: يعني آخذ معي كفن تظن عليّ خطر قتل؟ فقال الخوي: أنت ونصيبك من الحياة.

فأخذ معه كفناً وركب ناقته وسار معهم فقصد بهم الخوي بيته وضيّفهم وذبح ذبيحة عادتهم للضيف. فلما أصبحوا قال الخوي للخوير:

اجلس أنت هنا ونحن نذهب للأمير فإذا جلس أرسلت لك، فأنت تأتي وتدخل عليه ومعك كفنك، وتكلمه تعتذر لعله يسمح عنك.

فذهبوا وجلسوا مع الخويا عادة الدوام، فلما جلس الأمير سلم عليه الخوي، قال له الأمير: «ذهبتوا للخوير ذبحتوه وهدمتم قصره وقطعتم نخله؟» فقال الخوي: نعم يا طويل العمر، فسكن غضب الأمير.

فأرسل الخوي للخوير فأتى وكفنه على متنه، فلما دخل في مجلس الأمير جلس يحبو على يديه وركبتيه إلى الأمير، عادة الخائف طالب السماح، فلما رآه الأمير قال: إلّا والخوير والشتمه: يا فلان غَدّه غَدّه، يعني اقتله، فقال الخوير: اسمح لي أقول كلمات عندي! فقال الأمير: بعد وتقصد وأنت سوف تذبح؟ فقال الخوير: خلن أقول كلماتي وهذا كني معي. قال الأمير: هات ما عندك: فقال قصيدة معناها أنه تابع للأمير إلى يوم القيامة، منها قوله:

حنـا نتلـيكم وأنـتم لنـا ضـير ....

فسكن غضب الأمير وسمح عنه وقال له: قم اجلس، يعني مع الجالسين. وحيث سمح عنه رجع الخوير لأهله بسلام، فسبحان الله مالك الملك.

والضِّير: هو ولد الناقة (الحوار) إذا ولدته، فإنها من أشد الحيوان رَوْماً لولدها، فلا تحلب ولا ترعى إلا هو أمامها تشمه. ولكن إذا مات أخذوا جلده وملئوه علفاً أو نحوه حتى ييبس عليه، فيضعونه أمامها تشمه حالة حلبها، ويضعونه لها بالمرعى، ترعى حوله وترجع عليه تشمه، يسمونه الضِّيْر. انتهى.

مَن ترك شيئاً لله عوَّضه الله خيراً منه

ذهب شاب من هنا يتطلب أسباب المعيشة في مدينة الرياض، فلم يُتَحْ له أسباب كافية، فكان يعمل بعض الأيام ويجلس بعضها، وكان معه صاحب له كذلك، فذكر له صاحبه أن وكلاء الشيوخ يكتبون عمالاً يذهبون بهم للبر يعملون لهم هناك، قال: ونريد نذهب إليهم بعد صلاة الفجر؛ لعلهم يسجلوننا معهم.

فذهب الشاب إليهم بعد الفجر فأدركهم فسجلوه وخرجوا به معهم للبر، وأما الرجل صاحب فتأخر بعد الفجر يشرب قوة ففاتوه.

يقول الشاب: لما وصلنا الخيام في البر جعلونا نحفر آباراً يسقون منها الغنم في المراعي، ونحن أكثر من سبعين عاملاً كلهم من أهل الوطن، وكان الوكيل يصلي بنا صلاة خفيفة، فساررته قولي: «صلاتك خفيفة يا أبا فلان، فلو ركدتها قليلاً كان أحسن»، فقال: هاه أثرك تعرف، أجل صل بنا أنت، وألزمني؛ فكنت إمامهم. وكانوا يقومون بطعام العمال، فيقدمون العشاء بعد صلاة المغرب، ثم يجلسون دائرة كبيرة، ويدورون عليهم بالقهوة، ويتكلم واحد منهم بالسوالف والبقيةُ يستمعون، هكذا كانت مجالس العرب.

يقول: فقال الوكيل: اقرأ يا عبدالله علينا سورة من القرآن، ففرحت وقرأت سورة النجم عن ظهر قلب، فلما كان الصباح وذهبنا للعمل مشى معي أحد العمال وقال: «وراك تقرأ علينا البارحة، ضيقت صدورنا، والله لكأنك تضربنا بمسامير، لا عمرك تقرأ علينا»، يقول الشاب: فاقشعرَّ

جلدي ودهش فكري وعزفت نفسي عن العمل؛ فرجعت للوكيل وقلت: خلاص يا أبا فلان، أنا لا أريد العمل هنا، وأريد ترجعونني للبلد. فقال: لماذا؟ فأخبرته بقول الرجل، وقلت: أنا لا أصحب مَن يكره القرآن هكذا. فقال: أنا لست وكيل حل وعقد، ولكن اذهب للوزير في ذيك الخيام وخبره بأمرك فهو الذي يتصرف. يقول: فذهبت إليه وطلبت منه الرخصة وأن يرجعوني للبلد. فقال: لماذا؟ فأخبرته بقول الرجل، وأني لا أريد العمل مع مَن يبغض القرآن. فقال: لا نرخص لك أنت، ولا تعمل: يكفينا منك تؤذن وتصلي بهم وتذمرهم للصلاة، والرجل الذي تكلم بهذا الكلام نُحكِّمُك فيه: إن شئت ضربناه، وإن شئت طردناه، وإن شئت تركناه. فقلت: جزاك الله خيراً. فأنا لا أريد ضربه؛ لأنه لم يتعرضني بشيء، ولا أريد طرده فأحرمه الرزق إذا سمحتوا لي عن العمل معه.

فقال: نعم، اذهب واجلس في الخيام، وعملك الأذان والصلاة بالجماعة، فرجعت للخيام وجلست أعمل مع الشيبان الذين يصلحون خراب العوامل (عدة العمل) مع اعتمادي الصلاة بهم.

فبقينا بهذا العمل شهرين، أجرة الشهر ستون ريالاً، فانتهى عملهم وأرجعونا للبلد، وسلموا لي مائة وعشرين ريالاً، فحمدت الله وخرجت لأهلي حيث قد حصل معي هذا المبلغ. انتهى.

* * *

السجن في القديم

كان السجن نكاية للمجرم، فإذا بات فيه ليلة طار عقله واستبطأ الصباح، وطلب الإقالة وقدم التنازل والالتزام بأن لا يعود إلى جريمة، لأنه يغلق عليه في غرفة ظلماء يسمونها الصُّفة، هذا سجن غير المجرم. أما المجرم: فهو مع إدخاله فيها تدخل رجله بين خشبتين في الصباح تبدل رجله الثانية وفي المساء كذلك.

وإذا كانت جريمته أكبر صلبوه بعض الوقت على خشبة بالطول واقفاً. فمن جرب السجن اعتدل سلوكه خوفاً من السجن.

ولهذا لا تجد في السجن مساجين إلا قليلاً، فتكمل إجراءاته وينفذ الحكم فوراً.

سُجن رجل فقير ظريف سجن عادي، وبعد يومين فتحوا له وقالوا: اخرج، فقال: إلى أين؟ قالوا: إلى أهلك، فقال: لا أريد الخروج، قالوا: لماذا؟ فقال: لأني هنا أتعشى وأتغدّا وعند أهلي لا يحصل يلي عشاء وغداء.

فأخبروا الأمير بقوله، فقال: أعطوه ريالين وأخرجوه. انتهى.



تابع شليويح العطاوي

تغزّل شليويح مرة في محبوبته تغزُّل نزاهة فقال:

يفْدي عشيري مَن اعظامه تِقلـه	البـدو واللـي يلبسون الـسداري
حتى ابن رشيد الشمري فدوة له	مـودع منـاعير الـصبايا حبـاري
الـشيخ يـدمح لي ثمانـين زلـه	والآش مـاني عـن زَرَيـاه داري

ثم أرسل له ابن رشيد قصيدة يخبره بالسماح له في ذلك فقال:

راكباً من عندنا لا شـليويح قل لـه	تراه في وجهي عن جميع الأزاري
والله مـا لـوم اللـي فـدا بي لخلـه	حيث إنه جرى لي من الوِد جاري
أنا مـن قبلـه عـشيري حـالي يَسِلَّه	سَلْ الخيوط من مبهمات الأباري

كذلك

كان رجل من العرب القدمى شديد الغرام بمحبوبته فقال:

يا من ينوح فؤادي خلف موكبه	ومن ترفرف روحي حول مغناه

إلى أن قال:

مازلـت أذكـره في كـل آونـة	رغم الصدود وأنت اليوم تنساه

«حلاوة بعض الشعر، قال»:

راكبـاً اللـي بعيـد الخـد يَطْوِنـّه	حراير من ضرايب جيش ابن ثـاني
من الثميله اديـار الـشوق يمـسنه	إيلا رَوَّحَنْ بالوصايف جَوْل غِزلان

وقال آخر:

حَنْ الحوار شاف دار المملـه — تـذكر الوديـان هـي والنـشانيش
حن الحوار واشوف قلبك فطن له — يـا أبـو فـلان مـا بـدنياك تفتـيش
والله من غَذْراً بَكَتْ شَوْف خِلَّه — أبرك من الحاشي وكل ما حيش

وقيل:

وإن تعجب الدنيا رجالاً فإنها — متـاع قليـل والـزوال قريـب

ومن الأمثال المشهورة

«ما هكذا يا سعد تورد الإبل» يُخاطب بذلك مَن كُلف بعمل فلم يقم به، مأخوذ من قول الشاعر وقد أرسل أخاه سعداً ليورد الإبل فلم يحسن سقيها واشتمل بكسائه وتراخىٰ فقال يوبِّخه:

أوردهـا سـعد وسـعد مـشتمل — مـا هكـذا يـا سـعد تـورد الإبـل

إيراد الإبل هو الإتيان بها ليسقيها من البئر، والسقي من البئر يحتاج شد العزم، بالإحتزام وإلقاء ظاهر الثياب لمتح الدلو من البئر به الماء مرة بعد أخرى حتى تروى الإبل. ولكن سعد هذا ما زال مشتملاً بالشملة وهي العباءة ونحوها ملتف بها عن البرد فلم يشد عزمه ويتهيأ لذلك فعتب عليه أخوه الحازم وقال فيه هذا الشعر.

وهذا ينطبق على كل عمل يحتاج شد العزم والحزم. انتهى.

* * *

نكتـــة

مات إنسان وكان في قرابته رجل مغفل، فأتى إليهم وقال: أعطوني حقي من الإرث، فقالوا: لست ترث هنا، فقال: بلى أنا أرث، فقالوا: تعال نسأل الشيخ (القاضي) هل أنت ترث أم لا؟

فذهبوا وإياه للقاضي، فأخبروا القاضي بحصر ورثة الميت، وبقرابة هذا الحاضر منه، فقال القاضي للرجل: أنت لست ترث هنا، فغضب الرجل المغفل وقال للقاضي: «بل أنا أرث ومشتوم أبوك»، فضحك القاضي وعرف مستوى الرجل، وقال: صدق إنه يرث أعطوه ريالين. فسكن غضب المغفل وقال: شفتوا أني أرث.

نكتـة ثانيـة

كان هنا رجل مغفل، وكان يتبنعم للمعرفة، سمع أو تحلّم أن فلاناً قد مات، ثم واجهه في مجتمع فقال له: «هاه هماهم يقولون إنك ميت؟» فقال الرجل: لو أنا ميت ما رأيتني هنا، فقال المغفل: «بل أخبرنا إنسان أصدق منك أنك ميت» فضحك الرجل وانصرف. انتهى.

* * *

الزوجــة الوَفيّــة

زرع رجل شاب في بعض محلات المزارع (الطعمية) ومعه زوجته الشابة. وذات ليلة بعد المغرب حصل بينهما سوء تفاهم فغضب عليها فحلف عليها بالطلاق (ألا تبيتين بها) يعني بيته وكان أهلها قريب منهم في مزرعة هنا، ولكن هي لا تريد تذهب لأهلها ولا تريد يطّلع أحد على ما بينها وبينه لقصد صلاح حالها معه. ولكن أين تبيت الليلة حتى لا يقع الطلاق؟

وإذا كَوْم حطب خارج المحل فحفرت تحته زِرْباً في الأرض فدخلت فيه على قفاها وجعلت على باب الزِّرب فوق رأسها شجرة حطب تذريها لتؤمنها مما تخاف منه وباتت ليلها فيه لم يسهج عينها النوم. وهو كذلك لم ينم من الوَحْدة والأسف.

فلما طلعت الشمس أتت فدخلت عليه وهو في المجلس يعمل القهوة، فشهق فرحة بها وقال: أهلاً وسهلاً جيتي عساكِ بالجنة أنتِ ووالديكِ. فقالت: أنا ما ذهبت لأهلي لأني أبغيك وأنت تبغيني، فلو ذهبت لأهلي فلا أدري ماذا يكون بعدُ.

وقد نَمْت تحت الحطب، وتعال أنت شُف محلي بالليل. فأتت به ينظره، فقال: يا الله التوبة، والله ما أعود للكلام بالطلاق. فصلحت حالهما بعد ذلك. والحمد لله رب العالمين. انتهى.

* * *

مسـؤولية العلمـاء

ذكر ابن كثير في تفسيره على قوله تعالى: ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾[1]، قال: لما استقضي إياس بن معاوية أتاه الحسن رحمهما الله، فبكى إياس، فقال الحسن: ما يبكيك؟ فقال: بلغني أن قاضيان في النار وقاضي في الجنة. فقال الحسن: إن الله أخذ على الحكام فيه ثلاثاً: «**أن لا يشتروا به ـ أي بالحكم ـ ثمناً، ولا يتبعوا فيه الهوى، ولا يخشوا فيه أحداً**».

قال العلماء (ومنهم ابن القيم): والفتوى أشد من الحكم مسؤولية أمام الله سبحانه؛ لأن الحكم إلزام خاص، والفتوى قول على الله: بأن هذا شرعه، أو هذا دينه، أو هذا حكمه، أو هذا أمره ونهيه، أو هذا حلاله وحرامه.

ولكن أنت أعرف مصدرها وصحة الجواب عنها أمام الله تعالى يوم الحساب قبل أن تفتي.

منافسـة

قام أعرابي عند باب المسجد يشيد عن جملة: «يا من عيّن الجمل؟» وقد حضر بالمسجد رجل عالم زاهد، يتمشى مع الناس يرشدهم ويزهدهم بالدنيا، فقام وقال: «يا من عيّن ملة إبراهيم» ومرة أخرى قام

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٧٨.

أعرابي يشيد عن جمله الأحمر؟ فقام هذا الزاهد وقال له: تعال أريك جملك، ففرح الرجل ومشى معه فذهب به إلى النعش في ناحية المسجد وقال: هذا جملك الحقيقي فانزعج الرجل وهرب. انتهى.

*   *   *

عفاف نساء أهل نجد والحمد لله

حدث رجل عن نفسه يقول: قدمت من سفرٍ في إحدى القرى، وأنا أعزب ليس لي زوجة، وقد اشتدت بي الحاجة، فأخذت جنيهاً معي وتعرضت لامرأة في الطريق وهي تحمل قِدر ماء على رأسها فوضعتُ الجنيه بيدها وقلت: أريدك، فوقفت ونظرت إلى الجنيه ثم نظرت إليّ وقالت: أنت غلطان يا رجل، من أين لك كلما بغيت امرأة دفعت لها جنيهاً؟ ولكن خذ جنيهك هذه، وألقتها إليه، واجعل معها جنيهاً ثانية وتزوج لك بنت عائلة طيبة تسترك، وتغنيك طول حياتك، وتُنجب لك أولاداً. ومضت في سبيلها. يقول الرجل: فخجلت وأخذت الجنيه، وذهبت وتزوجت أم هذا الولد، وكان معه ابن شجاع جيد بالعمل من خيار الرجال.

فجزا الله هذه المرأة خيراً على هذه المكارم والعفاف، ويوجد هذا العفاف والمكارم في كثير من الناس هنا ولله الحمد، ويتمثلون بقول الشاعر:

إيلا صار ما للبيض والٍ يهينه ركبت على كيرانها والموارك

والكيران جمع كور (أكوار - وكيران) وهو شداد الناقة للراكب (والراكب الثاني وهو الرديف يركب على مؤخر ظهر الناقة وهو الورك، و جمعها أوراك وموارك.

المعنى: أن النساء إذا لم يكن لها ولي من الرجال يكفها ويصونها وإلا تفارط أمرها وفسد وظهر لها عيب عند الناس (والإهانة هنا هو

المنع والصيانة والحفظ) وهو في الحقيقة كرامة وشرف وأمن لها.

كما قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾[1]، وكما قال القحطاني يمدح قومه:

.... لا الرجال جبانٌ ولا النساء زواني

مـــاء الوجـــه

قيل:

إذا قـلَّ مـاء الوجـه قـلَّ حيـاؤه ... ولا خـير في وجـه إذا قـلَّ مـاؤه

حيـاءك فاحفظـه عليـك وإنَّـما ... يـدلُّ عـلى فعـل الكـريم حيـاؤه

انتهـــى.

* * *

(١) سورة النساء، الآية: ٣٤.

شدّة عناء في طلب المعيشة

حدثنا رجل من أهل القرى، يقول: كان رجل عندنا يعمل مع الناس بالأجرة، فتوقفت عنه أسباب المعيشة فلم يجد عملاً يعتاش به، فأتى للبلد هنا وتطلب عملاً فلم يجد، فقيل له: اذهب للمدينة المنورة، فإن هناك أعمالاً عند الحكومة، فذهب من هنا للمدينة يمشي على رجليه، فلم يجد بالمدينة عملاً، وتقلب فلم يجد، فقيل له: لو ذهبت لمدينة حائل فإن بها أعمالاً ومصالح، فرجع إلى حائل يمشي على رجليه، لكن برفقة قافلة، فلم يجد بها عملاً ولا غيره، فقيل له: لو ذهبت للعراق فهي أم الدنيا والمصالح والأعمال، فسأل: كيف الطريق إلى وصولها؟ فقيل: ليس بين حائل والعراق قرى ذاك الوقت، فلا يمكن الرجلي يواصل سيره إليها، وإنما يوجد بيت رجل من البادية في ثلث الطريق، وبُعده من هنا مسيرة ثلاثة أيام، ثم بَعده بيت أعرابي آخر كذلك بُعده عنه مسيرة ثلاثة أيام، وبُعد ذاك البيت عن العراق مسيرة أربعة أيام، فأنت يا رجل انتظر هنا حتى يمر قافلة تريد العراق فتعبر معها.

يقول: فسألت عن صفة الطريق، وفي آخر الليل خرجت من حائل وحدي أمشي على رجلي، أريد العراق أمشي وأركض، فلما كان المغرب وإذا أنا أصل بيت الأعرابي المذكور، وإذا هو على استعداد للأضياف، فرحب بي وأكرمني وقال: لو أنك تقدمت قبل أمس بنا ابن جربوع، هو من رجال عُقيل، وأعطانا عشرة أصواع قهوة (يعني كيس، يعادل ثلاثين كيلو)، يقول الرجل: وكان معي ملء كفي قهوة أحملها تحت الحاجة،

فقلت: ماذا أصنع بها مع عشرة أصواع.

يقول: فسألت عن صفة الطريق؟ فوصفه لي وقال: إنك لا تصل بيت الأعرابي أمامك إلا بعد ثلاثة أيام. فسرت من عنده آخر الليل، وألقيت القهوة التي معي في شجرة، فكنت أركض وأمشي، فوصلت البيت المذكور بعد المغرب، فرحب بي كعادتهم للأضياف، وبت عنده بكرامة، وسألته عن الطريق؟ فقال: ليس من الممكن عبورك وحدك، فهو مسيرة أربعة أيام، وليس فيه أحد من العرب تضيفهم، ولكن أقم عندنا هنا حتى يأتي أحد تمشي برفقته. يقول الرجل: فدعوت له بخير، واستاصفت منه الطريق، وسرت آخر الليل، كذلك أمشي وأركض، فلما كان وقت أذان العشاء الآخرة وإذا أنا أدخل بلدة الزبير، فسمعت أذاناً في مسجدٍ وإذا هو بلغة أهل نجد، ففرحت به، فدخلت المسجد وسلمت على هذا المؤذن، فسألني فأخبرته بمجيئي من نجد، فقال: أنا من أهل نجد، ولكن تفضل عندنا بعد الصلاة. فقلت: نعم كَثَّرَ الله خيرك وأخلفك الله عليك، فضفت عنده فأكرمني جزاه الله خيراً. وسألته عن المصالح والأعمال. فلم يذكر شيئاً، وفي الصباح قال لي: هذا البيت محلك حتى تجد لك عملاً، فشكرته ودعوت له، وخرجت أسأل عن الأعمال من كل وجه، فلم أجد شيئاً، وبقيت عدة أيام لم أجد أي عمل.

فقيل لي: لو ذهبت للكويت فهو منتجع بعض أهل نجد، فسرت للكويت وصلته، وتطلبت عملاً فلم أجد إلا إستاداً للبناء، يجتمع عنده أكثر العمال في الصباح، فيأخذ ثلثهم اليوم، والثلث الثاني في اليوم الثاني، والثلث الثالث في اليوم الثالث، فلا يصلني الدور إلا بعد يومين.

ويقول الأستاذ: حنا نريد نشغلكم بالزام ننقذكم حتى لا تهلكوا جوعاً، وليس لدينا أعمالاً تسعكم كلكم.

فأنا إذا اشتغلت معه يوماً وجلست يومين أكلت أجرة هذا اليوم، فسئمت من البقاء هناك بدون فائدة، فعزمت على الخروج لنجد رجوعاً لأهلي، فتحينت خروج قافلة من هنا لنجد، فخرجت معهم، فوصلت بريدة وأنا صفر اليدين لا شيء معي، فجلست بالسوق إلى جانب دكان وأنا مدهوش الفكر، فرآني صاحب الدكان فأنكر حالي، وسألني: ماذا؟ فأخبرته خبري كله. فرحمني رحمه الله، فالتفت في دكانه وذرع قطعة قماش كسوة امرأة ووضع في طرفها نحو وزنة سكر وكفايته شاهي وربطه فيه وناولني إياه. وقال: أنا أعرف أنك الآن مستحي من زوجتك تذهب إليها وليس معك لها شيء تفرح به بعد هذه الغيبة الطويلة، ولكن هذا ثوب لها وطبخت سكر توسع وجهك عندها حالة قدومك عليها، فاذهب الآن إليها، فإن رزقك الله فأتيني بقيمة الثوب (القماش) وإن تعسرت الأمور فأنت في حل.

يقول: ففرحت وانفرج صدري، فأخذتها ودعوت له بخير، جزاه الله عني خيراً. انتهى.



حكمة بعض الرجال

سافر رجل من رجال عُقيل ومعه رَجّال له خوي أجير، هو من إحدى قبائل البادية المشهورة، وحين نزلوا في الطريق قبالة الليل قال المعزب للخوي: يا فلان، توكل على الله اطبخ العشاء، وحيث كانت بالعرب عنصرية، أنف هذا من الخدمة باسم الطبخ، فقال: «ما أنا طباخ، أطبخ لك وأنا ابن فلان»، فقال المعزب: «لا يا خُوْي، لا تطبخ، أنا أطبخ»، أعطني الحجارة هذيك، أنصبها لي ثلاث مناصب، «لا تطبخ يا خُوي، أنا أطبخ»، أعطني الحطب، ضعه لي بين المناصب، إقبس به النار، أعطني القدر «لا تطبخ يا خُوي، أنا أطبخ»، صب فيه ماء، ضعه لي على المناصب فوق النار، أعطني الملح ضع منه بالقدر، أعطني العيش الرّز ضع منه بالقدر مقدار ثلث الماء بالمكيال، (يعني ثلاث مكيال ماء والرابع أو الخامس رز) ونحو ذلك، ثم يقول: «لا تطبخ يا خُوي، أنا أطبخ»، أعطني الإيدام (الدهن) ضع منه ملء الفنجال بالقدر، أغط القدر واتركه يطبخ حتى يشرب ماءه وينشف، «لا تطبخ يا خُوي، أنا أطبخ». ثم قال: ترى هذا الطبخ يا خُوْي. قال الرجل: وهذا الطبخ؟ قال: نعم، فقال: كل يوم أنا أطبخ إن شاء الله. انتهى.

* * *

ومن أحوال الأولين في المعايش

إذا جاء وقت الزرع القمح قبالة الشتاء، انبعث لهم عزوم على القيام بأعمال الزرع القمح وذلك حكمة من الله تعالى، وكانوا يزرعون في البر على المطر، يسمونه بَعَل - عَثَرِي، في المواضع التي يجري عليها سيل الأودية (الروضة والوادي الأرض الطينية) فيحرثونه ويتركونه يسقيه المطر، فيتحصلون على ثروة من القمح.

كان رجل هنا فقير يعمل مع الناس بالأجرة، ونزل سيل بالليل، فلما أصبح الرجل وإذا الناس قد حملوا أكياس بذور القمح وخرجوا يحرثون البعل على البعارين، فالرجل ذهب للسوق واشترى نحو أربعة أصواع بذر قمح في كيس صغير وحمله على رأسه وخرج، ومرّ على أخته فقيرة هي وأولادها في بيتهم، فسلم عليهم وبشرها أنه يريد يزرع بعلاً مع الناس، ثم فتح فم الكيس وأخذ منه ثلاث حفنات بيديه وأعطاها إياه، وقال: اطحنيه وكلوه هالحين، ولك ثلث هذا الزرع يا أختي، فبكت ودعت له بخير.

ثم ذهب لبيته، فلما أصبح أخذ المسحات يريد يحرثه بها عثرى، فوضعها على متنه، والكيس على رأسه، وخرج يتبع الجماعة في روضة السِّكّة حول الصريف، فلما وصلهم إذا هم يحرثون على البعارين، قد سبقوا على الأرض الطيبة. فقال له بعضهم: ما شاء الله، جئت يا فلان، انظر بقية هذه الأرض عنك، أبذر بذرك فيها واتركه نحرثه لك على البعارين إذا خلصنا من زرعنا، فلما بذره قالوا له: اذهب للخيمة شف

القهوة بالدلال والتمر والماء عندك تقهو وتغد وارجع لأهلك، فقال: جزاكم الله خيراً.

فلما تقهوى رجع وأصبح عند أهله، ثم ذهب للسوق لعله يجد أحداً يعمل له بالأجرة، فاتفق مع أحد رجال عُقيل أعطاه جملين يحمل عليهن حطباً من شجر البر الغضا ويبعه بالسوق على النصف، فما تحصل من الدراهم فله نصفه وراعي البعارين نصف، فجمع له دراهم، وزرعه البعل قد طلع وجاد واستوى، فاستأذن المعزب يسمح له يحصده ويدوسه ويحمله على البعارين؟ فأذن له وقال: الله يرزقك يا ولدي، فخرج بأخته وزوجته، ونزلوا عند الزرع في خيمة، وحصدوه وداسوه وحملوه على البعارين، وأعطى أخته ثلثه؛ فامتلأ بيته رزقاً من عيش (قمح) ودراهم، بسبب صلته لأخته.

فلما انتهى المعزب من الشراكة اشترى هو جملين واستمرّ في عمله، يحمل عليها من حطب البر ويبعه بالسوق. انتهى.

* * *

وجئت على قدر يا موسى

كان شيخ (أي عالم) في أحد المدن، قد تزوج ليلة في إحدى ضواحي البلد بعيداً، ولكن لم يجعل الله لها منه نصيباً فعافها، وخرج من عندها من ساعته راجعاً للبلد يمشي على رجليه وحده، إذ أمطرت السماء وهو في ناحية الحارة، أو في حارة ثانية، فالتجأ عن المطر حول باب أحد البيوت وقرب منه، وإذا الباب لم يغلق، فتحرك الباب قليلاً وظهر له صرير كبعض الأبواب القديمة من الخشب، فسمعه أهل البيت فأتى الرجل يكتشف مَن عند الباب؟ فتنحنح الشيخ وقال: «السلام عليكم، أنا رجل عابر سبيل وقفت هنا أتذرّا عن السيل ولكن بابكم غير مغلق فتحرك»، فعرف الرجل الشيخ فسلم عليه وجذب يده وقال: تفضل هنا يا شيخ عن السيل والبرد الله يحييك.

فانجذب معه الشيخ ودخل معه للمجلس القهوة، فأوقد الرجل النار ليعمل القهوة، فقال الشيخ: لا تحرك ساكن أنا عجل أريد أسري هالحين إن شاء الله، فقال الرجل: لا يصلح يا شيخ أن تذهب بهذا الليل والسيل والبرد، ولكن تبيت هنا الليلة والصباح تَيَسَّر الأمور إن شاء الله.

فقال الشيخ: إن كان عندكم لي فراش فأنا أبيت عندكم؟

وهي كلمة معروفة عند الناس: أنها كناية (يعني زوجة) فقال الرجل: نعم عندي بنت تصلح لك أهديها عليك أزوجك إياها، فقال الشيخ: مقبولة، ولكن أريدها هالحين؟ فقال الرجل: لا بأس هالحين إنشاء الله. فقام الرجل وأخبر أمها زوجته فوافقت، وكان الناس يعتمدون على الأب

في التزويج، قد اكتفوا بولايته وكفايته في النظرية لهم. فأمر الأم أن تصلح البنت. فعمل قهوة، فقال الشيخ للرجل: أحضر لنا رجلين من أحبابك شهوداً على العقد، ولا يحضرنا إلا من أحبابك، فقام الرجل واستدعى اثنين من أحبابه، فحضروا وتقهووا مع الشيخ، قال الرجل للشيخ: اعقد لنفسك، فعقد الشيخ فخرج الرجلان، وأدخله على البنت، فأصبحوا فى أحسن حال، فصارت هي زوجته أم أولاده، فسبحان مقسم الأرزاق ومصرف الأحوال ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾[1]، انتهى.

* * *

(١) سورة القصص، الآية: ٦٨.

حكمة في سياسة الأهل

كان فلاح في إحدى ضواحي البلد، فكان يزاول أعمال المزرعة هو وعائلته، وذات ليلة حصل بينه وبين زوجته سوء تفاهم ونزاع، أو قد ضربها، فلما أصبحوا وإذا هم كل في عمله: فالرجل الأب يروس الماء (يسقي البرسيم) والابن جذع يسني السواني، والبنت جذعة أيضاً تصلح علف البعارين التي تسني؛ إلا الأم فإنها زعلانة في البيت، فجمعت أواني البيت (المواعين) في زنبيل: إذ من عادتهم أن المرأة هي التي تقوم بأواني البيت يشترونها بدراهم الصداق، والرجل يقوم بأواني القهوة (الدّلال) فالأواني ملك للمرأة، فإذا اختلفت مع الزوج حملت أوانيها تذهب بها معها.

فهذه المرأة حملت أوانيها وخرجت ذاهبة جهة أهلها غير بعيد منهم، فلما رأتها البنت ذاهبة تركت عملها وانطلقت إثر أمها، فقال لها أبوها: أين يا فلانة؟ فقالت: دربي درب أمي، ثم إن الابن ترك عمله السواني وانطلق إثر أمه، فقال له أبوه: أين يا فلان؟ فقال: دربي درب أمي، فانطلق الأب يركض وسكّر الماء الذي هو يعمله وركض للبيت وأفرغ الدّلال ومسكها بعراويها وانطلق يركض إثرهم ويرقل الدلال ليظهر لها صوت قعقعة، فلحقهم، فالتفتت الأم وإذا هو معهم ومعه دلاله، فوقفت وقالت: أين تريد؟ فقال: دربي دربكم، قالت: حنا نريد نذهب لأهلنا، فقال: وأنا

أريد أذهب معكم لأهلكم، فقالت: ارجع حنا زعلانين، فقال: وأنا زعلان معكم، وجعل يقفز ليذهب أمامهم.

فلما نظرت في الواقع وإذا هم شبه ارتحال، إذ لم يحصل لها منه انعزال، فقالت: ارجع ما منك فكًّا (مخلاص) فرجعت بهم وكل منهم مسك عمله، وصلحت الحال بعد ذلك، والحمد لله. انتهى.

* * *

إصلاح ذات البين

كان حاكم قد زوج أخته ابن عمه، ثم قام هذا ينازع ابن عمه الحاكم على الحكم، وذهب بعيداً يتطلب له أعواناً فلم ينجح، وزوجته أخت الحاكم سئمت من هذه المنازعات بين رجالها، فأرادت أن تصلح بينهما، فنظمت قصيدة وعلّمتها الجواري، فلما جاء إليها أخوها الحاكم وجلس عندها على عادته قامت الجواري تغنيها أمامه، قولها:

البارحة في منامي حافني حايف — يا من خبر حايف للقلب يسري به
إما يبي له شريف من ورا الطايف — وإلا افراعي الحرايب هو واجنيبه
ويامَلْ قلب عشوق وعاشق عايف — ما ينعذل به ولا أدري كيف أَسَوِّي به
ويامَلْ قلب على دَرَّاجٍ وامهايف — ما أحلى أغصون الهبايب يوم تومي به

فقال لها: ما هذا يا فلانة؟ فقالت: إصلح مع ابن أخيك تري اختلاف الاثنين من بخت الثالث، تعني العدو.

ثم ذهبت للشيخ عالم البلد، وكان مسموع الكلمة عندهم، فأشارت عليه أن يسعى بينهما بالصلح، فأجابها وكانت عزيزة عنده.

فأتى إلى الحاكم وأشار عليه بالصلح فوافق وفوّضه فيه.

فذهب الشيخ إلى ذاك وعرض عليه الصلح؟ فأجاب على ثلاثة شروط، أن يرتب له من بيت المال ما يكفيه، وأن يوظف أبنائه في أعماله، وأن يقدر كرامته إذا شفع لأحد بأن يقبل منه ولا يخذله؟ فأعطاه الشيخ طلبته، وأتى به معه حتى أدخله على زوجته أخت الحاكم، ثم استدعا

الحاكم في الصباح و جمع بينهما عندها فتسا محا، وجلسا، ثم بدأ ليتقاضا فقامت هي وقبلت رأس أخيها الحاكم، وطلبت منه أن لا يبحثا في الأحوال الماضية، فأجابها وترك البحث وقال: نحن من أولاد اليوم، وكل الذي مضى مدفون، ففرحوا بذلك ودعوا له بخير، وصلحت الأحوال بعد ذلك، ونعمت هي والأسرة بهذا الصلح والاجتماع. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. وصلى الله على نبينا محمد. انتهى.

* * *

تحمل الأولين في الشدائد

غزا رجال من أحدى قبائل البادية، فأبعدوا عن أهلهم، وأغاروا على إحدى القبائل الأخرى ليأخذوا إبلهم، فقام أهلها بكفاحهم، وغلبوهم فطرودهم وأخذوا ركائبهم وما عليها، وهو (طعامهم وشرابهم) وسقط أحدهم مكسورة رجله في المعركة، فوقعت بهم نكبة عظيمة إذ أهلهم بعيد وخويهم مكسورة رجله، فكيف يحملونه إذ لا يمكن الإقامة عليه هنا، وهذا المكسور ليس من عصبتهم ولكنهم أخواله، فلما رأى هو تأزم المسألة بهم أيس من نفسه وعذرهم، فقال لهم: يا أخوالي أنا ميت وأنتم لا تهلكوا معي، اذهبوا أنقذوا أنفسكم واتركوني ولا ملام عليكم، فترددوا في ذلك؟ وكان زعيمهم اسمه هديب.

فلما ساروا من عنده قال لهم هديب: التفتوا إليه انظروه فإن كان هو رافع رأسه ينظرنا فارجعوا إليه واحملوه، وإن لم يرفع رأسه فهو للموت أقرب فاتركوه.

فالتفتوا وإذا هو رافع رأسه ينظرهم، فرجعوا إليه وقطّعوا أعمدة من شجر الطلح وشرحوا شرائح من ثيابهم وربطوا له محملاً مثل النعش فوضعوه عليه وحملوه على أكتافهم، يعتقبونه ورجعوا.

ومن سوء الحظ لم يجدوا شيئاً يأكلونه ولا ماء يشربون، وهم يمشون على أرجلهم وحاملون صاحبهم، والمسافة بعيدة نحو خمسة عشر يوماً، وكان هديب إذا أخذ عقبته فلا حُمْلان النعش يحمل عن اثنين.

ثم قربا من خابية ماء من السيل في جانب طريقهم ولا يعلمون هل

فيها ماء، فيميلون إليها أم لا. فقالوا: من يتقدم يَـخْبَرْ لنا هذيك الخابية هل فيها ماء أم لا؟ وإذا أصغرهم اسمه اغريِّب فقال: أنا أتقدم.

فذهب يعدو ليلاً فلما وصلها وإذا هو يبصر وبيص الماء في نور القمر، فوقف دونها وقذف بها حجراً هل هذا ماء أو مكان ماء؟ فتحرك الماء فعرفه، ورجع إليهم مسرعاً، وبشرهم بالماء، فقالوا: هل هو عذب أو قد أفسدته المواشي؟ يعني ببولها حالة وردها عليه. فقال: إذا وصلتموه عرفتموه أهو عذب أم لا، ولم يقل: إني لم أشرب منه احتراماً لحقكم، فإنهم لا يصدقونه، فلما وصلوه وشربوا قال لهم غريِّب: تعالوا انظروا أثري أني لم أصله ولم أشرب وأنتم عطاش حتى نشرب جميعاً أو نهلك جميعاً. ثم ساروا ولم يجدوا شيئاً يأكلونه، ثم صادوا جربوعاً فأعطوه غريِّب (أصغرهم) فأخذه ولم يأكله وجعله داخل حزامه وأخفاه عنهم حتى وصلوا أهلهم. فوضعوا صاحبهم عند أهله وأصلحوا رجله.

ثم أخذوا يقصون أخبارهم على الجماعة وقالوا: ولم نجد شيئاً نصيده إلا جربوعاً وأعطيناه غريِّب، فأدخل غريِّب يده وأخرجه وألقاه بينهم يابساً وقال: هذا جربوعكم دوكم إياه أنا عارف أنكم سوف تقولون أعطيناه غريِّب.

فتعجب الجماعة من صبرهم وتحملهم وبتاعة هذا الشاب غُريِّب.

والكسير لما ارتاح عند أهله أخذ يمتدحهم على صنيعهم به فقال:

خوالي اللي ما بهم نفوس اصغار	شحوا بعمري يوم ما به تفاكير
خمسة عشر يوم على الوجه عبار	متربـع فـوق روس المنـاعير
معهم أهديب الشام حمال الأقطار	زود على حمله نقل حمل مادير

انتهـى.

أحوال أولاد الأولين

قد ذكرنا أنه إذا جاء وقت بذر الذرع القمح تنبعث له هممهم، فهذا الابن هو عبدالله السليمان المزيرعي بالرياض عنده عمل، وأهله بالخَضَر منطقة فلاحين جنوب بريدة.

لما جاء وقت الزرع انبعث لهذا الابن همة للزرع، فاتى هنا وقال لأبيه: أنا أريد أزرع لكم يا أبي، فقال أبوه: إنك تأخرت فالناس قاربوا الانتهاء من أعمال الزرع، وأنت الآن متى تنظم حالك، فقال الابن: «أنا مأمور بإذن الله»، فقال أبوه: الله يقويك.

فاستأجر الابن سيارة وخرج يرود محلات المزارع الجنوبية لعله يجد مزرعاً فارغاً، فوجد على مطلوبه، فرجع لأبيه وأخبره ثم ذهب واشترى ماكينة زراعية وأكياس بذر قمح الجميع ديناً من تاجر، فاستأجر سيارة وحملهن وخرج بالمهندس يركب الماكينة وخرج معه أبوه يساعدون المهندس، إذ مرّت بهم حراثة بعد العصر ذاهبة لمزارع هناك فاعترضها وطلب منه أن يحرث له الزرع وذكّره أن الوقت قارب الانتهاء، وأن يسعفه إسعافاً؟ فأجابه الحراث لأنه من جماعته، فحملوا الأكياس للمزرع، فبدؤوا بالعمل قبل المغرب، هم يبذرون وهو يحرث، ليلهم كله فما خلصوا حتى صفرة الفجر، فانتهوا منه بذراً وحرثاً.

ثم اجتمع هو وأبوه وأخوه يُشغلون الماكينة ويعملون أمام الماء

يقطعونه أحواضاً يعدلونه حتى سقوه كله.

فاستأجر الابن عاملاً من الجماعة يسقي الزرع ويحرسه وهو رجع لعمله بالرياض، وأبوه يلاحظ على العامل، فلما جاء وقت حصاده أتى بأهله وخرج أبوه بأهله واستأجروا معهم أجراء، فحصدوه وداسوه وذروه، وحملوه.

يقول: فبعت بعضه وسددت قيمة الماكينة وغيرها من الدَّين، والباقي أدخلته في سنبله في بيت الوالد والوالده، وبقي عندهم سبع سنين يأكلون منه لم يشتروا ولا حبة واحدة كل هذه المدة. والحمد لله. انتهى.

*　*　*

بـــره بوالدتـــه

كان رجل في البادية تزوج امرأة فولدت ابناً ثم طلقها وأبقى الابن عنده وحملها إلى أهلها، ثم زوجوها برجل هناك فأنحت بها الأحوال بعيداً، فشب وكبر ابنها الأول عند أبيه وصار رجلاً طيباً وتزوج وصار له زوجتان في بيتين حول بعضهم.

وبعد مدة ضافه رجل قائف (وهو الذي يعرف الأثر والشبه) وهو لا يعرفه، ولكن قال له: ألك أم؟ قال: نعم، ولكني لا أعرفها؛ لأنها ذهبت وأنا صغير، فهي الآن عند زوجها هناك ولا أعرف عنها شيئاً.

فقال الرجل: وأنا لم أرها ولم أعرفها ولكني رأيت أثر امرأة هناك ترعى غنماً أقدامها تشبهها أقدامك، فلم يهتم الابن بقوله. فأكّد عليه المخبر وقال: «إذا ما كانت أقدامك من أقدامها فخذ ناقتي هذه لك»، فعرف صحة قوله، فاهتم بأمر أمه وكيف هي ترعى الغنم.

فشدْ على ناقته وحمل عليها له طعاماً وشراباً واستعداداً، وسلاحاً فركبها وذهب إلى هناك حيث أخبره بمحلها، فجعل يتطلب الأثر الذي وصف له القائف، وفي أثناء النهار وجدها هي مع الغنم فقرب منها وسلم عليها عن بُعد حتى لا يريبها ثم قرب وجعل يكلمها حتى اطمأنت ثم قال: هل أنت فلانة بنت فلان؟ قالت: وما تريد بفلانة؟ فقال: «إذا أنت هي أخبرتك بأمري»، فقالت: نعم، أنا فلانة بنت فلان، فقال: أنا ابنك، قالت: وما ابني؟ فقال: أما تزوجكِ فلان بن فلان، فولدت منه ابناً، ثم طلقكِ وأبقى الابن عنده؟ قالت: بلى، قال: أنا هو ابنك، فصدقته وبكت

فرحاً به وبكى هو وقبّلها وضمها على صدره، فلما أفاقا سألها عن حالها ووضعها؟ فأخبرته أنها في حالة مزرية ونكد قد ألزموها برعي الغنم كما ترى (إذ من حق الأم أن تكون رَبَّة البيت لا عاملاً تعاني السرح في البر وحدها)، فقال: اركبي معي أريحك وأكرمك، قالت: وماذا أصنع بغنمهم؟ قال: اتركيها لعله يأكلها الذئب. قالت: لا بأس على هواك. فأصلح لها وقاية (إحواية) على مؤخر ظهر الناقة هو مركب الرديف، فأردفها خلفه وساق الغنم وجّهها إلى أهلها.

ثم انصرف وسار في طريقه مسرعاً قرير العين إذ أمكنه أن يحوز أمه عنده ليريحها ويكرمها، سار حتى وصل أهله، فلما قرب من أبياته أناخ ناقته وعقل يدها وقال لأمه: لعلكِ ترتاحين هنا قليلاً حتى أصلح لكِ محلاً. فاضطجعت عند الناقة، فأتى إلى أحد أبياته فسلم عليها فقالت له زوجته: هل وجدت أمك؟ قال: نعم، قالت: أين هي؟ قال: هي ذيك عند الناقة، قالت: لماذا لا أتيت بها؟ فقال: إن فيها مرض وأخشى أن تعدينا، قالت: وماذا تريد أن تصنع بها الآن؟ قال: نصلح لها كوخاً في محلها الآن ونعطيها طعامها وشرابها هناك. قالت المرأة: نعم أحسنت.

ثم أتى لبيته الثاني، فسلم عليهم، فقالت امرأته: هل وجدت أمك؟ قال: نعم، قالت: أين هي؟ فقال: هي ذيك عند الناقة، قالت: ولماذا لا أتيت بها هنا؟ قال: إنها مريضة، قالت: وماذا تريد أن تصنع بها؟ فقال: نصلح لها كوخاً في محلها الآن، ونعطيها طعامها وشرابها وهي هناك حتى لا يعدينا مرضها. وإذا المرأة معها ابنه صبيًّا فألقته بالأرض وقالت: «أنا بنت فلان أمك تجدعها في البر وحدها، والله ما أغذو ابنك: أنا أتعب

عليه اليوم وإذا كبرت يتركني بالبر وحدي مثل فعلك هذا بأمك»، فضحك لها وقال: ما تريدين أن أصنع بها؟ قالت: هاتها هنا عندنا نقوم بها ونخدمها ونداويها ونصبر عليها هذه أُمنا، فضحك لها ثانية وقال: انظريها عند الناقة فاذهبي إليها وأتي بها.

فذهبت إليها وسلمت عليها وهلَّتْ ورحَّبَتْ بها وقالت: تفضلي تفضلي عندنا يا عَمَّهْ الله يحييكِ الساعة المباركة الحمد لله الذي أتى بك عندنا، فأتت معها (في أسعد يوم مرّ بها في حياتها) وليس بها مرض ولكن أراد الرجل أن يختبر مروءة نساءه.

ثم قال في نفسه: تكفيني هذه المرأة التي قامت بأمي بمروءتها لا أريد غيرها. فطلق المرأة الثانية وخيّرها بين أن تبقى في بيتها عند أولادها بدون زوج أو تذهب لأهلها ليزوجوها (قيل) اختارت البقاء عند أولادها.

ثم أتاه الرجل القائف ليعرف صدق معرفته فسأله هل وجدت أمك؟ قال: نعم، فقال: «أنا ولد فلان شفت أني أعرف»، فأعطاه ناقة من خيار إبله جائزة على إخباريته. انتهى.



صفاء السريرة مع الله

من تفسير ابن كثير سورة الأعراف، آية: ٥٥. قال: ثم أرشد الله عباده إلى دعائه الذي هو صلاحهم في دنياهم وأخراهم، فقال: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾[(١)]، أي تذللاً واستكانة لطاعته، بخشوع قلوبكم وصحة اليقين بوحدانيته بألوهيته وربوبيته فيما بينكم وبينه. قال ابن جرير، وقال عبدالله بن المبارك عن الحسن قال: إن كان الرجل لقد حفظ القرآن وما يشعر به الناس، وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس، وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزوار وما يشعرون به، ولقد أدركنا أقواماً يحرصون أن تكون أعمالهم سرًّا. ويجتهدون في الدعاء سرًّا بينهم وبين ربهم، وقال ابن جريج يكره رفع الصوت والنداء والصياح في الدعاء ويؤمر بالتضرع والاستكانة بينهم وبين ربهم.

وكان أعراب في البادية من قبيلة عنزه، وأجدبوا ذات سنة واضطروا للغيث، فاجتمعوا واستغاثوا فلم يغاثوا، وإذا أحدهم لم يحضرهم بالاستغاثة قد غاب في رعي إبله، فقالوا له: استغث لنا أنت، فأبىٰ واعتذر بأنه يستحي من الله، فعزموا عليه، فقام ولبس عباءته وتوجه نحو القبلة ورفع يديه يدعو الله «يا الله إنك تغيثنا ـ يا الله إنك تغيثنا، والله يا رب ما أخبر إلا الهَنَيْهَة التي أنت خابر»، يردد هذا الدعاء والاعتذار إلى الله،

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٥.

فأنشأ الله السحاب وأغاثهم، فأعجب الجماعة حالُه مع الله، فسألوه عن هذه المسألة التي هو يعتذر منها إلى الله سبحانه؟ فأبىٰ أن يخبرهم، فعزموا عليه فقال:

«سبق أن أتت ناقة ضائعة من أهلها ودخلت مع إبلي ومعها ولدها إحوار يرتضع منها، فولدت لي ناقة ثم ماتت فأرضعت ولدها من تلك الناقة التي ليست لي مع ولدها، فما زلت استحي من الله من تلك» (والهُنَيْهَة) تصغير هناة بلغة البادية وهي المسألة. انتهى.

* * *

اتقاء الفحش بالمروءة

كان رجل هنا مؤذن مسجد، وكان تقيًّا نقيًّا حسبه الله، وكان يتفقد الجماعة للصلاة ويعدُّهم بعد صلاة الفجر بعض الأيام، عادة الناس ذاك الوقت.

وكان في الجماعة رجلا كسلان فاحش، فكان قليل الحضور وقت العدد، فكان المؤذن يراجعه ويحضه على المواظبة فاعتذر بأنه يغيب عن البلد بعض الليالي، فقال المؤذن: إذا أردت أن تغيب فأعلمني لأجل لا أعدك. فقال الرجل: لا بأس. فلما كان بعد العشاء الآخرة بنحو ساعة حيث قد نام المؤذن، إذ الناس ينامون بعد الصلاة مباشرة، أتى ذاك الرجل ودق الباب على المؤذن وأزعجه وقال: أنا أريد أغيب الليلة ولكن لا تعدني الفجر، وهو غير صادق في الغياب، ولكن يريد يقلق راحة المؤذن لأجل يتركه من العدد.

فعرفها المؤذن، فأكرم نفسه عن الفحش وبذاء الكلام، فاستأجر بيتاً في حارة أخرى، وأعطى مفتاح المنارة أحد الجماعة وهو الذي ينوب عنه بالأذان، وقال له: إني سوف أغيب ولكن حافظ على الأذان والجماعة، فحمل الرجل عفشه بالليل وسكن هناك، فأتى إليه الجماعة بعد يريدونه يرجع؟ فقال:هذا أمر انتهى ولا داعي للإلحاح ولم يعلمهم بالسبب. انتهى.

* * *

من أحوال الأولين في الزواج

كانوا يبكرون بالاجتماع للعرس، فالعَشاء بعد صلاة العصر، كلهم الرجال والعوائل، فالنساء يأكلن ما بقي من الرجال، ويوزعون منه على الجيران.

وبعد العَشاء يذهب الرجال يتقهوون عند بعض الجيران، وكان الناس أقل منهم هذا الوقت، وبعد المغرب تشتغل الناس بتجهيز العريسة، فتجتمع نسائها والجيران ويأتين بها لبيت الزوج، يمشين على أرجلهن، فإذا وصلن بيت الزوج أبت البنت أن تدخل حياءً فيزفنها فيه زفاً (فهذا سبب تسميت العرس زفافاً)، ثم يجتمعن على أفراح العرس من الدف والغناء العادي والرقص كالعادة، فإذا جاء وقت مجيء الرجل أجلسنها في فراشها، عليها ثيابها متحجبة بالعباءة.

فإذا صلى الرجال العشاء الآخرة أتى أبو البنت والعريس وأبوه أو أخوه يجنب له، فإذا وصلوا باب الغرفة تقدم الأب وقال:

الله بـــــالخير يُمـــــسِّيكن يـــــاللي جيـــتن حفّــــالات

قُـــومَنْ بالرُّخْـــصِه لاهِنْـــتِنْ إلا وحـــــده نـــــستثنيها

اللــي عندهــا رجّـالنـا يــات

فتخرج النساء إلا واحدة تأخر قليلاً عند البنت، ثم يدخل العريس، فتقوم المرأة لتخرج، فتمسكها البنت تتشبث بها، ثم العريس يعطي المرأة ريالاً، يسمونه البياعة، ثم يمسك هو البنت يخلص منها المرأة فتخرج، فيغلق أبوها باب الغرفة.

فيبدأ الولد بشأنه ليأخذ ظاهر ثيابها: العباءة ونحوها، فتمسكها هي فيأخذها بالقوة، ويبدأ بشأنه وهي تمتنع: شعار الحصانة والعفاف والصيانة، فيحصل بينهما مجاذبة وعفسة حلوة، يجدان حلاوتها طول حياتهما، وتستمر معهما هذه الملاعبة في شبابهما. كما قال النبي ﷺ: «**تلاعبك وتلاعبها**»، وقد «**نهى عن المواقعة قبل الملاعبة**».

وقال شاعر يدعو على أعدائه:

قلت اللهم لا بَلَّهم وابل الحياء ... ولا جاذبوا بيض الترائب ثيابها

يعني: في مثل هذه الحال. انتهى.

* * *

عاقبة الحسد والقطيعة

كان جماعة في عزبة، جاء أحدهم وقال: إني اشتريت قصة بروبية (ريال)، وإذا تريدون أقصها عليكم كل واحد منكم يسلم لي روبية؟ فقالوا: نعطيك روبيتك، فقال: لا، وكانوا اثنا عشر رجلاً، فسلموا له اثنا عشر روبية فقال:

كان أخوان، وكان أحدهما نسله أولاد، والثاني نسله بنات، وكانوا جيراناً لبعضهم، ولكن أبو الأبناء وأبنائه قد احتقروا أبا البنات واستصغروهم (إذ كانت بهم عنصرية الفخر بالحبس) فذهب أبوالبنات يوماً للبر على حماره، يتطلب الرزق: مثل الفقع أو الجراد أو الصيد أو غيره وأبعد، فوجد بيتاً من الطين ونحوه، ولم يكن يعرفه، ولم يجد فيه أحداً، فدخله وإذا فيه من جميع أنواع الأموال من ذهب وفضة وسلاح وثياب وأواني وأثاث ولحوم شرائح يابس، ولم يعلم من هو صاحبه، فملأ خرج حماره من الذهب، وخرج ورجع لأهله، فوصلهم ليلاً، وأراد أن يكيل الذهب بالصاع ليعرف مقداره، فأرسل ابنته تأتي بالصاع من عمها وأولاده، فاستغربوا طلبهم الصاع وماذا يريدون يكيلون به، وما هذا الذي تحصل عليه في غيبته اليوم؟

ومن حرصهم على الاطلاع على حال عمهم وحسدهم له: وضعوا في قاعة الصاع شيئاً من الدبس (وهو سائل التمر) يريدون يمسك شيئاً من المكيل ليعرفوه، ثم طلبوا الصاع بليلهم حين خلصوا منه فوجدوه قد لصق فيه جنيهاً، فاشتعلت فيهم نار الحسد.

فلما كان الصباح المبكر ركب أبو الأولاد حماره وذهب يتبع أثر أخيه من أين أتى بالذهب ليأخذ مثله؟ فطلع على البيت وكان البيت صاحبه سِعْلُوٌّ من السعالي يأكل الناس ويخبأ ما معهم في هذا البيت، وصاحب البيت لما جاء وإذا بيته مدخولاً بالأمس جعل يستنشق الهوى ويقول: «ريح إنس ما أدري من اليوم أو من أمس؟» يكرر الاستنشاق وهذا الكلام، فأراد الرجل أن يختفي عنه ولكنه وجده فمسكه بيد والحمار بيد وأدخلهما بالبيت وذبحهما، فكان الرجل هو الضحية لحسدهم وبغيهم على قرابتهم. انتهى.

* * *

تابع .. من يفعل الخير لا يعدم جوازيه

حدث رجل ممن كان يذهب بالإبل مع رجال عُقيل، وكانوا قافلتين، كل قافلة من بلد.

فبينما هم في بعض منازل السفر في شمالي بلدان نجد، إذ أقبل عليهم راعي خيال مشيح ـ مسرع، وصار وجهه على القافلة الثانية، فلما قرب منهم يريد يضيفهم قاموا يمنعونه عنهم يحثون التراب بوجهه، فوقف حائراً، وإذا صاحب القافلة الأولى ينظره، يقول: فأومأت له وناديته: تعال تعال. فأتى إلينا فرحبنا به وبادرناه بالماء والتمر والقهوة الجاهزة وطعام الضيافة كالعادة.

ثم أخذنا نسأله نؤنسه، وإذا هو مرهق العقل، قلنا له: كأنك تعبان ومرهق فمن أين أتيت وما أصابك وما وراءك يا رجل؟ فقال: ورائي الموت الأحمر: إنا كنا غزاة نحو مائتين رجل، والتقينا بقوم آخرين هم نحو ستين أو خمسين رجلاً، فأشاروا إلينا وطلبوا منا المسالمة وأن لا نتعرض لهم بسوء؟ فأبينا ألا نعدوا عليهم ونأخذ ما معهم، فقاموا بكفاحنا بالمقاتلة فغلبونا وقتلونا لم يفلت منا إلا أنا ورجل آخر. وهم الآن وجههم إليكم، وأنا أنصح لكم أن ترتحلوا الآن وتذهبوا حتى لا يأتون عليكم (ولا تخبروا ذولاك الجماعة حيث قد منعوني الضيافة). يقول: فارتحلنا وأعلمنا أخويانا فارتحلوا، فسلمنا والحمد لله. انتهى.

* * *

من أحوال البحر: منافعه وأضراره

ذهب الوالد رحمه الله تعالى من هنا أوقات المساغب وهو جذع، إلى بعض بلدان الخليج يتطلب أسباب المعيشة، ثم صار يذهب مع أهل البحر للغياصة لطلب الدُّر. وبقي هناك مدة أربعة عشر سنة لم يتحصل على شيء بل ربما كان مطلوباً في معيشته.

ونظام الغياصة في البحر معروف عندهم فصاحب السفينة يتفق مع رجال يحملهم معه يغوصون، وهو يقوم بمصاريفهم ويسجلها عليهم ويستوفيها من المحصول، والمحصول بينهم أنصاف حسب العادة لهم نصف وله نصف، وكل رجل يغوص يكون معه رجل آخر يسمى السَّيْب ينزِّله بالحبل و يجذبه بسرعة جيدة إذا انتهى نَفَسه.

والبحر مثل البر في الخصوبة والجدب، فالموضع الذي يأتيه السيل وقت الوسم يخصب فيوجد فيه الدُّر كما يوجد الفقع في البر.

وكانوا يعرفون مواقع البحر كما نعرف البر.

وكان يوجد في البحر ماء عذب، نعمة من الله لخلقه في مواضع معروفة عندهم، عين تفور في قعره، عذبة، في أمكنة من البحر، ولهن أسماء عندهم، يذهبون إليها ويوقفون السفينة عليها ويرسونها، ثم ينزل أحدهم ماسكاً فم القربة بيده، فإذا وصلها بالقعر لَقّى فم القربة بالعين وهي تفور فتمتلئ بسرعة ثم يوكيها ويحرك الرشا فيجذبونه بسرعة وهو ماسكها، ثم ينزل الآخر يملأ القربة الثانية وهكذا.

ثم يذهبون إلى المواضع التي فيها المحار (الدُّر) فيرسون السفينة (وصفة إرسائها) يُنزلون الشراع، ويَقطُّون البِلْد (أي ينزلونه في قعر البحر)، وهو حديدة أكبر من رأس الثور، لها أسنان بارزة، مربوطة برأس رشاء، يقذفونها في البحر من جهة الريح فتغرز أسنانها بالأرض، تربط السفينة لا تزول عن مكانها، ثم ينصبون المقامات على جوانب السفينة على عدد الرجال، والمقام هو: خشبة برأسه بكرة عليها الرشا تدور به.

فيخلع الرجل ثيابه ويربط نفسه برأس الرشا من تحت الإبط، ويربط برجله حديدة مبهمة بنحو كيلوين، فيلقى نفسه في البحر وتجذبه الحديدة أيضاً بسرعة كما في المثل (اصبر والحجر يُوَدِّيك) والرشا بيد السَّيْب يرسله معه حتى يصل القعر، فيفتح عينيه يتطلب الصدف، لأن ماء البحر مالح لا يضر العين، فيجمع الصدف في صفن (علاّقة) معه، مربوطة به.

والصدف ينبت في أرض البحر شجيرات شبه طير، يوجد المحار (الدّر) في بطنها إن وجد وهو قليل، والغائص يكتم نَفَسَه، فإذا قارب انتهاء نفسه حرك الرشا بيده فيجذبه السيب بسرعة جيدة فيجد راحة بالنفس مع قوة الجذب، فإذا طلع رأسه من الماء شهق بالنفس، ثم جلس قليلاً يستريح نفسه، والسيب يأخذ ما معه بالحقيبة فيفرغه في صحن السفينة، وكلهم يعملون هكذا، والنوخذا واقف يراقب عملهم.

فإذا انتهى ما في هذا الموضع من الصدف ساروا قليلاً لموضع آخر، فإذا أرادوا يسيرون نزل أحدهم وقلب البِلْد عن الأرض ليرفعوه بالرشا، فإذا وقفوا ألقوه يربط السفينة وهكذا.

يبدءون العمل في الصباح الغير مبكر إلى بعد الظهر.

ولا يذوقون في الصباح طعاماً ولا شراباً قبل العمل لأجل يرتاح النَّفس ويطول مع الفراغ.

فإذا بطلوا العمل وإذا الطباخ قد أصلح لهم غداءً جيداً فيشبعون منه، فلا يأكلون غيره إلى بكراً مثلها.

ثم يجلسون على محصولهم يفحصونه، كل واحد مع سكين يشق بطن الصدفة يفتحه لعله يجد فيها درة، إذ وجودها قليل، والنوخذا واقف فوقهم ينظرهم حتى لا يخفي أحد شيئاً.

ووقت الغياصة نحو من ثلاثة شهور، هي وقت شدة الحر ثم ينتهي عملهم. كل هذا يحدثنا به الوالد رحمه الله. وليس كل سنة يحصلون على شيء، فبعض السنين يرجعون مفلسين، وتبقى قيمة أكلهم بذمتهم حتى السنة الثانية، وقد يتحصلون على درة ثمينة تغنيهم، كما حصل للوالد رحمه الله فقد دش الغوص عزّلاً قد انفرد عن مشاركة المجموعة فتحصل على درة جيدة، باعوها باثنا عشر ألف روبية، تعادل الآن اثنا عشر مليون، نصفها له ونصفها للسفان، هو صاحب السفينة.

فانتهى الوالد من الغياصة، وأتى إلى هنا وقضى الديون عن أهله وحَجَّجَهم حجة الإسلام.

وبعد ذاك الوقت بطلت أعمال الغياصة، لأنهم صاروا يصنعونها صناعة.

أما الدّيانة فكل يعمل على شاكلته، وصاحب السفينة هو المرجع في ذلك، لأن كلاً يقارن من يشاكله غالباً.

وأما ما قد يحصل عليهم من الأضرار، فالبحر فيه هوام ضارة، منها الشاذوب، قيل إنه يقطع الرجل نصفين. كما في المثل (كل درة عندها شاذوب) ومنها الجاثوم، ومنها اللخمة، ولكنهم يكافحونها بحيث إذا رأوها أثاروا التراب دونها فترجع، وإذا باغتته وجثمت عليه جعل يحك بطنها فترتفع عنه فيثير التراب ويروغ عنها. وقد ياتيهم عاصف أو قاصف من الريح فتطبع السفينة (أي تغرق).

حدثني رجل من الجماعة كان مع الغواصين سنة الطَّبْعة، يقول: وذات ليلة عصفت علينا ريح شديدة وقت عواصف الجوزاء، فعلانا الموج الأول ودخل الماء وسط السفينة فصاحوا وقاموا يغرفونه بالاصطبلات، جاء الموج الثاني فصاحوا، ثم جاء الموج الثالث فقارب ملئها، وعلاهم الماء، يقول: فأنا ركبت بالجالبوت وقطعت حبله من السفينة (وهو حوض من خشب يربط بحبل خارج السفينة للخدمات) يركب به واحد أو اثنان فقط، يدفعونه بمغاريف يدوية (مجاديف) من خشب. يقول: فدفعته يبعد عنهم، فرآني النوخذا المعزب فقال: يا محمد يا محمد، اركبني معك! فقلت: اسبح إليّ، فنزل في البحر وسبح وركب معي فتبعونا يسبحون فدفعناه حتى أبعدنا عنهم.

أما بقية الجماعة فأرهقهم الغرق، تتكفئ بهم السفينة، فينزل جانبها الذي هم فيه فيغمرهم الماء ويرتفع جانبها الآخر، فيركضون إليه فينزل

ويغمرهم الماء فيرجعون للآخر، وهذا آخر عهدنا بهم، فركدنا على ظهر البحر بالجالبوت مدة ثلاثة أيام، لا شراب ولا طعام حتى غشينا الموت فلا نشعر بشيء.

وذات ليلة جاء مركب كبير سائر في البحر، فأبصرنا بالنور عن بُعد، فهدّأ سير المركب وأمال سيره عنا حتى لا يغطانا الموج، فجعل يدور ويقرب منا حتى سكن الماء فوقف، فانتبهت به كأنه عندي حلم نائم، فنزلوا ورفعونا، ولا شعور لنا، فجعلوا يقطرون الماء في حلوقنا حتى حيينا وصحونا، وسألونا عن أمرنا فأخبرناهم، فحرك المركب وجعل يدور حول محلنا يتطلب إخويانا فلم يجد، ونحن لا نعلم أين ذهبت بنا الريح عن محل الحادث، فلما لم يجد أحداً سار في طريقه حتى وصل مدينة من المدن فأرسى بالميناء، فأتت شرطة البلد وذهبوا بنا للتحقيق عن حالنا وأحضروا ترجمان يسألونا ويسجلون: من أين، وفي أين، وإلى أين، وماذا عمل معكم صاحب المركب، وهل تطلب أخوياكم؟ قلنا: نعم.

ثم سار المركب ونحن معه حتى وصل بلداً آخر فأرسى به فأخذتنا شرطتهم وحققوا معنا مثل تحقيق البلد الأول.

ثم سار المركب ونحن معه فأتى بلداً آخر فأرسى به، فحققوا معنا مثل البلد الأول، ولكن المركب سلّمنا حكومة هذا البلد وذهب في سبيله، فأرسلتنا هذه الحكومة إلى بلد أهل سفينتنا وسلمونا الحكومة.

وهذه السنة يؤرِّخ بها أهل البحر (سنة الطبعة) لأن كثيراً من السفن

طبعت (غرقت) ذاك اليوم. كما أخبرنا بذلك الوالد وغيره رحمهم الله.

وكانوا يعملون وِقايات جسمية صحية للرجل قبل البدء بالعمل (الغياصة) فقد أخبرنا رجل ممن كان يعمل مع أهل الغوص. يقول: إن صاحب السفينة يُنَظِّم اصحابه رجال الغياصة قبل البدء بالعمل.

فأولاً: يعطي الواحد منهم شربة مسهل جيدة كل شهر تنقي المعدة ليصح الجسم.

ثانياً: يأخذ شيئاً من بذور البصل ويخلطه مع سمن طبيعي من البقر أو الغنم، ثم يغليه على النار، ثم يبرده، يستلقي الرجل على ظهره ويرفع وجهه، ثم يقطر من هذا السمن في منخريه، يذهب الدوخة من الرأس ليطول نفسه في الماء. انتهى.

* * *

قوة الشعور بالشعر

سبق أن ذكرنا أن حاكماً كان خارج البلد في غزو أو غيره، وأتاه كتاب من أهله فلما قرأه التفت إلى من عنده وقال:

يـا مَـلْ قلـب بـدا فيـه خِلّـه عياً يطيق الصبر من شِذْ ما جاه

ثم قال: حُلّوه، فلم يعرفوا حلّه، فقال: حلوه ولكم جائزة، فلم يعرفوه.

وكان قد حضره شاعر يقال له ابن عرفج فقال له: حله؟ فقال:

علـمٌ لَفىٰ مـن نـور عينـي لعلـه لعل جرحه طايب عِقب شكواه

يـا الله دخيلـك يـا رب خَلّـه ألطف من الروح والرب يا قاه

امْقابَل اللي مـا تَبىٰ النفس عِلّهْ ودي با ملامىٰ حيّة الجِحِر مالاه

فقال الأمير: أصبت، فأعطاه الجائزة (ومعناه أن زوجة الأمير مريضة ويدعو لها بالشفاء).

وغالب الملوك والأمراء في القديم يكون عنده شاعر يعرف قريحة الملك فيُعَبِّر عنها على لسان الملك فيصيب قريحته غالباً.

وهنا أحد أبناء الملوك شاعر حادّ الذّكىٰ، وقد جاء على باله أشياء من القرائح الحادة، فقال: تطلبوا لي شاعراً أريده يعرف قريحتي فيعبر عما في نفسي.

فأحضروا له شعراء فلم يصيبوا هدفه ولم يبردوا جأشه.

فقال: تطلبوا لي شاعراً، فأحضروا له شاعراً يقال له: (درعان

الطّويان) وأخبروه بقول الملك.

فلما سلّم عليه ومُثِّل بين يديه قال: أشاعر أنت؟ قال: والله نوعاً ما.

قال الملك: هات ما عندك، قال الشاعر: اجعلني في وجهك يا طويل العمر؟ قال: نعم، أنت في وجهي وأنا أبوعبدالله. فقال الشاعر:

قال المولّغ بزين النظم درعان	يا اعيال شيلوا إيبوتٍ بادي فيها
فيصل شجاع طلع من نسل شجعان	يقطع رَجا العجز من شوفها إلغاليها
تتليه دولة هَلْ العوجا إبرهان	نقوة حَرَار اتْنَوْمِسْ مَن قنص فيها
واولاد علي أصلاب حي وجداني	اللي ضحا الكون تعجبني عزاويها

فأعجب الملك قوة شعوره، ولكن لم يرض عليه في البيت الأخير قائلاً: ليس هذا من موضوعنا! فقال: نعم، ولكن جاشت القريحة يا طويل العمر، فعذره وأعطاه جائزة جيدة. انتهى.

* * *

عقوق ابن .. ومروءة زوجة

قيل: كان رجل هناك، وكانت عنده أمه وزوجته، ويمكن أن به حالة نفسية، فعاف أمه وأراد إبعادها عنه، فأعلم زوجته بذلك، وكانت قد ولدت له ابناً صبيًّا فقال: نريد نذهب في البر نمشي فإذا تعبنا وجاء الليل ونامت أمي نقوم ونرجع ونتركها في مكانها، لعله يأتيها من أهل البادية من يقوم بها. فقالت الزوجة: لا بأس (فلم تعارضه إلا في آخ المطاف ليكون أنجع به).

فحملت صبيها وسار بهن نهارهم يمشون على أرجلهن، فلما كان الليل طاحوا وناموا، فلما استغرقت الأم بالنوم همز الزوجة ليقوموا يذهبوا عنها يتركوها (فقامت الزوجة تلملم ثيابها في الظلام، فدست الابن الصبي إلى جنب جدته الأم وهو نائم، ثم سارت معه وتركته عندها).

فلما استمر الرجل بالمشي ورأى أنه قد استراح من أمه، قال لها أعطيني الولد فلان أحمله، قالت: ما هو معي، قال: هَهْ كيف؟ قالت: نعم تركته عند أمك، قال: كيف تتركين ابننا؟ (قالت: نعم أتركه أتعب عليه اليوم وإذا كبرت واحتجت له يلقيني في البر المهلك مثل فعلك هذا بأمك)، فبكى الرجل وانتبه لخطئه وقال: جزاكِ الله خيراً. فرجعا إليهما، وإذا الأم قد انتبهت بالصبي حين بكى فحملته معها، وجاء ذئب يريد يأخذه يدور حولها، فجعلت تكافحه تؤمئ عليه وتنهره وتحثو عليه

التراث، ولم يعزم عليها، فأدركوهما ورجعوا بهما.

فانظر أصالة هذه الزوجة، وطيب عنصرها، وخيْرِيَّتِها ومروءتها، وصحة عقلها ومدى نظرها، وكيف أصلحت زوجها بحكمة عظيمة، أصلح الله أحوالها في الدنيا والآخرة ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾[1]، سبحانه والحمد لله رب العالمين. انتهى.

* * *

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٠.

أصل الشجاعة قوة الجأش.. الضمير

كانت إحدى قبائل البادية في البر، وكان حولهم أسد قد أرهقهم، وعجزوا عن قتله، إذ لم تظهر البندقية بعد، وقد أظهر الأمير جائزة لمن يقتله.

وذات يوم كان أحد رعاتهم بالفلاة مع صاحب له، من قبيلة أخرى لم يعلم بهذا الأسد وإرهاقهم منه، وفي ساعة والصاحب في ناحية الإبل إذ طلع عليه الأسد، فاستقبله الرجل وضربه بالقناة وهي عصاً جيدة برأسها عقدة منها، أكبر من جُمع الكف، فمات الأسد ورشق من دمه على ثوبه، فلما أتى صاحبه في ناحية الإبل سأله: ما هذا الدم في ثوبك؟ فقال: طلع عليَّ أسد فقتلته وهذا دمه، فقفز الرجل وقال: أين هو؟ قال: في ذاك المكان.

فانسل الراعي خفية وذهب إلى الأسد وقطع رأسه وذهب به للأمير، وقال: أنا قتلته، يريد الجائزة، فشك الأمير في صحة قوله أنه هو قتله، وكان الأمير ذكي صاحب فراسة، فقال له: ادن مني انظر هذا الورم في حلقي فدنا منه فَكَحَّ الأمير في وجهه فارتاع وقفز، فعرف الأمير أن مثله لا يتجاسر على قتل الأسد، ولكنه ضحك له وآنسه وسأله عن عمله في الرعي وهل معه أخويا؟ فأخبره أن معه خوي، قال: اذهب فادعه لي، فدعاه وحضر عند الأمير، وسأله من أي القبائل أنت؟ قال: عنزي، ثم سأله عن اسمه وعن أحواله ومن الذي قتل الأسد؟ فقال: أنا، قال: كيف قتلته؟ فأومأ الرجل بيده وقال: قلت به هكذا فمات، فظن الأمير صدقه،

ثم قال له الأمير: ادن مني، انظر إلى هذا الورم في حلقي لعلك تفيدني عنه؟ فقال الرجل: أنا ما عندي خبرة بالأمراض، فقال: ولو ما عندك تعالى انظره، فدنى إليه حسب أمره: فَكَخْ الأمير في وجهه كما فعل بالأول، فلم يهتز الرجل بل رفع يده ولطم وجه الأمير يتقاضى منه، فضحك الأمير وقال: مثل هذا هو الذي يتجاسر على مقابلة الأسد وقتله ولكن أعطوه الجائزة. انتهى.

* * *

تابع.. أضرار نفس العائن

تزوج شاب زوجة، وكانوا في إحدى ضواحي البلد منطقة أرياف ولكنه أصيب بنفس عائن فخمدت رجولته فلم يصل إليها بشيء، وهي تعمل معهم بالفلاحة عادة الناس، وبعد نحو أربعة شهور وهما على غير شيء، ثم جاء الربيع خرج هو وإياها للغريب في البر مع بعض الجماعة، في خيمة وحدهما كالعادة، يحشون العشب الصباح إلى آخر الضحى، فيستريحون وقت القائلة، ثم يخرجون يحشون وقت العصر إلى المغرب.

وذات يوم لم يخرجا وقت العصر للحش بل قعدا في خيمتهما، والجماعة ظنوه مريضاً، ولكنه خرج المغرب للصلاة معهم، فلما أصبح حمل علفاً وذهب لأهله بالفلاحة في البلد، وحيث كان الولد لا يتصرف إلا بإذن أبيه ذاك الوقت قال لأبيه: أنا أريد أشتري لحمة وأعشي إخوياي بالبر؟ فقال الأب: حنا اليوم خواطرنا مشغولة لأنه قد مات فلان، فقال الولد: ومتى مات؟ قال: مات أمس قبل الظهر. فقال الابن (الله لا يرحمه فهو الذي حبسني بعينه عن زوجتي من أخذتها إلى أمس قبل الظهر حين مات فانفك حبسي) فقد حبسني عن زوجتي بغير حق، فأنا الآن أريد أعمل عيدين، عيد لعرسي وعيد لموته، والبادي أظلم.

أقول: فمثل هذا المصاب يعالج بالقراءة عليهما من القرآن شرباً واغتسالاً، ولكن هذا الشاب وزوجته لم يُعْلِما أهلهما استحياء. انتهى.

أبا زيد وعبده

كان الناس يستخدمون المماليك عبيداً لهم في البادية والحاضرة، وبعضهم يشتري له زوجة مملوكة مثله، فيأمنون من خطره على المحارم.

فكان أبا زيد الهلالي كذلك، له عبد يسرح بإبله وليست له زوجة، فغزا أبا زيد وترك عبده على عمله عند أهله يسرح، والبيت ليس به إلا امرأة أبا زيد، وعلمه بعبده أنه أميناً، ولكن معروف أن ليس على النساء أمين، ولو كان معتكفاً بروضة المسجد، فقد طمع العبد بالمرأة في غيبة سيده، فهجم عليها واغتصبها نفسها، ثم ارتحل بها على الإبل، وذهب بها إلى أقاصي الصمان، في مراتع ليس حولها أحد ولا يصل إليها أحد.

فلما جاء أبا زيد من الغزو لم يجد أهله وماله، فسأل عنهم الجماعة فلم يجد عنهم خبر، فعرف أن العبد قد خانه في أهله وماله.

فجعل أبا زيد يتطلبه في البر، ويتطلب أثر إبله يعرفها فلم يجد عيناً ولا أثراً، ومضت عليه عشر سنين وهو يتطلبه على رجليه في البراري التي ليس يأتي إليها أحد لعله يجده.

وذات يوم أدركته القيلولة في موضع فيه شجر كبار من الطلح، فجلس يستظل تحتها، ورأى عش الغراب في أعلى الشجرة وفيه وبر من شعر الإبل فعرفه من شعر إبله، فجعل ينظر أين يذهب الغراب ويرجع بعد بطئ.

فلما تحقق جهة ذهابه وإيابه؛ سار نحوه وبعد ثلاثة أيام طلع على البيت وبه المرأة، فتسلل إليها، فلما رأته فرحت به وبكت له، وقدمت له

من حليب الإبل إذ هو طعامهم.

ثم قالت: وماذا تريد أن تصنع به؟ فقال: أعدو عليه وأقتله، قالت: أخشى أن يغلبك لأنك قد أضناك التعب والأسف، قالت: ولكن هو يأتي عن قريب بالإبل من المرعى ليسقيها من البئر (الدَّحل) وكان الصمان أكثر مياهه من الدحول.

والدحل شبه خفس صغير في الأرض يكون في أسفله ماء، وقلّ أن يكون ماءه محاذياً فمه، فلابد أن ينزل أحدهم فيه يملأ الدلو ثم يدنيه حتى يحاذي فم البئر ثم الآخر يرفعه.

الحاصل أنها قالت: فينزل هو في البئر وأنا أمسك به الرشا، وسوف أخبئ معي سكيناً أقطع به الرشا في أثناء البئر ليسقط، ثم أنت تأتي وتلقي عليه حجارة تشدخ رأسه ليموت فلما أقبل بالإبل نحو البئر ذهبت هي إليه لتساعده كالعادة، فلما نزل وصار أثناء البئر قطعت به الحبل فسقط، فأومأت لأبا زيد فأتى من مخبئه فضحكت له أن نجحت خطتها وأدركت ثأرها بالعبد المجرم، فأطل عليه أبا زيد فلما رآه العبد قال: آه:

أجهدت يا عم أبا زيد لين لقيتني	أنا من وكر الغرابين خائف
....	ذالي عشر سنين أنام فوق فرش القطايف
....	وذالي عشر سنين أرعى العليا برياض عطايف

ثم أنزل عليه حجراً قتله به، ثم حمل بيته وارتحل بأهله وماله حتى أتى جماعته، وهم يظنونه قد مات منذ عشر سنين، وفي المثل: لا تبوق ولا تخاف.

وقال البارودي:

إذا المرء لم يدفع يد الجور إن سطت عليه فلا يأسف إذا ضاع مجده
وأقتل داء رؤية العين ظالما يسيء ويتلى في المحافل حمده

وقال الشافعي رحمه الله:

«أشد الأعمال ثلاثة: الجود عن قلة،ن والورع في الخلوة، وكلمة الحق عند من يرجى ويخاف». انتهى.

* * *

قد تعجل عقوبة البغي والقطيعة

كانت عائلة في القديم فلاحين، وكانت لهم أم سليطة، وكان أحد أولادهم قد تزوج ويبقى هو وزوجته عند أهله يعملان معهم كالعادة، وكان أولادهم يصيدون من الطيور وغيرها، يطبخ مع العشاء.

وكانت الأم تغلق على الطعام عن البنت (الزوجة) وغيرها، وهي التي توالا عمل الطعام وتقديمهم لهم، وتعطي البنت (الزوجة) عشاها في إناء وحدها، وسيرتها مع البنت سيئة، وكانت البنت الزوجة تعمل في المزرعة إلى آخر جهدها صابرة لحكم ربها كغيرها. ويوماً اطلعت البنت الزوجة على الصيد الكثير الذي قد جمعه أولادهم عند أمهم ففرحت البنت وقالت: «ما شاء الله اليوم الخير كثير سوف نشبع من الصيد»، وتاقت نفسها لذلك جدًّا، فلما أعطتها الأم عشاها وإذا ليس به شيء من الذي رأت من الصيد، فكبر عليها الأمر وعلمت أنهم يستأثرون في كل شيء دونها، فانفجعت لذلك، كما قال الشارع:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة ... على القلب من ضرب الحسام المهند

فجعلت البنت تبكي وتدعو الله تقول: «يا مَنّان ـ يا منان» فسمعتها الأم فقالت: «منان حـالمٍ بِكِ» كُلي عشاكِ وانثبري ونامي «وهذا من الأم عُتو وقطيعة رحم، واستبعاداً أن يستجيب الله دعائها» ولكن البنت طال بكائها ودعائها.

فلما قام عامل السواني آخر الليل ليعمل السواني على البعارين، وأدخلهن المنحات، فجفلت البعارين فيها، أي استوحشت، فنظر الرجل

في المنحات (وهي موضع السواني) وإذا سواد في آخر المنحات، فاستوحش أن يأتيه وحده فذهب وأيقظ المعازيب الرجال يخبرهم الخبر، فأتوا وأوقدوا شعلة نار يكتشفون السَّمار ما هو؟ وإذا هي أمهم ميتة، قد أصابتها دمعة في رأسها بالليل فخرجت من غير شعور فسقطت بالمنحات فماتت (والدمغة في القديم هي الجلطة حالياً) فأصبحت البنت الزوجة هي صاحبة البيت، قد ولاّها إياه (المنان) سبحانه، فورثتهم هي وأولادها كما قيل: بغيض الدار هو وارثها. وقيل:

الصبر زين وفيه ثنتين فيه الجميل وتأخذ الحق وافي

انتهى.

* * *

تابع نوادر في البر والصلة

كان أبو حمود من أهل الأرياف ضواحي البلد، ونزل ابنه أحمود البلد بأهله للتسبب، وذات يوم أتى إليه أبوه وقال: أعطني دراهم فأنا ما عندي قهوة، وصادف الحال أن الابن حمود ليس عنده دراهم، ولكن لابد من قضاء حاجة أبيه، فقال له: والله يا والدي اليوم ما عندي دراهم أبداً ولكن خذ هذه الدّلة، يعني التي يعمل بها القهوة، بعها بالسوق واقض بها حاجتك حتى ييسر الله لنا رزق، فأخذها الأب وباعها وقضى حاجته، وكان الناس يشترون الأثاث المستعمل، حتى الملابس والفرش وكل شيء بحسبه.

فالابن حمود سنحت له فكرة صعبة وهي: أن يذهب مع رجال عُقيل للغربية رجاء أن يرزقه الله، ما يغنيه ويغني والده وأهله. إذ أسباب المعيشة هنا قليلة. فقال لامرأته: اذهبي لأهلِكِ كوني عندهم؛ لأن أبي ليس عنده لكِ كفاية، فذهب حمود للغربية مع بعض عقيل، واشتغل هناك بالبيع والشراء بالإبل، وحصّل شيئاً من الدراهم، ولكن أبوه اشتدت به الحاجة، فركب مع بعض عقيل وقدم على ابنه حمود هناك وأخبره بحاله، فقال الابن: أبشر بالخير يا ابي. فقام حمود وأخرج الدراهم التي عنده بكيسها ووضعها أمام أبيه وقال: هذا الذي عندي من الفلوس يا والدي، يريده يأخذ بعضها ويدع له بعضها يشتغل به. ولكن الأب أخذها ووضعها بين

يديه، وقال: تكفيني هذه، ولكن تطلب لي أحداً يريد يرجع لنجد أرجع معهم!

فرجع الأب لنجد وبقي الابن حمود ليس معه دراهم يشتغل بها، فتوقف لذلك أياماً عن البيع والشراء، وقد سبق له أن تعامل مع رجال من قبيلة الرّوله (عنزه) بالجزيرة، وقد عرفوه بالصدق والعدالة، فذهب إليهم وضاف الأمير شيخ القبيلة، وأخبره بحاله فقال الأمير هذه إبلنا خذ منها ما شئت فطلب منه أن يساعده بجاهه: بأن يكفل عليه ما يشتريه من جماعته من الإبل حتى يبيعها ويسدد لهم؟

فقال الأمير: نعم: اسمعوا يا جماعة (الذي يشتري منه هذا الرجل (فلان) دراهمه عندي).

فأقبل الجماعة كلهم يبيعون عليه، فاشترى منهم أربع رعايا كل رعية مائة بعير وذهب بها يسوِّقها هناك، وصادف الأسواق خالية من الجلاّبين ذيك الأيام، فارتفعت أسعار إبله من عشرة إلى ثلاثين فباعها، وذهب لأهلها وسدد لهم حقهم وبقي معه كثير.

فقال: تكفيني هذه التجارة والحمد لله.

ثم أتى إلى أهله هنا، وأغنى أباه وأهله، رحمه الله.

واشترى له ملك نخيل وبنى عليه سورا وسكن فيه، وعاش عمراً طويلاً، وقد سكن أحد أبناءه البلد في طلب التسبب، وبقي أحدهم عنده يخدمه، تحت أمره. (فأنا عاملت هذا الابن في بعض الأحوال في محل أبيه فلا يتصرف إلا عن مشورة أبيه إرضاءً له).

وقد أشار الناس على هذا الابن أن يشتغل بأعمال التسبب وهو عند أبيه فقال: «خدمة أبي أحب إليّ من التجارة، فلم يزل على ذلك حتى مات أبوه رحمهم الله»، فقال أخوه الذي سبق أن ذهب يتسبب: أنت يا أخي خدمت الوالد عنا وعنك، والآن لك نصف المال الذي عندي من عقار ودراهم، فأبى أن يأخذ منه شيئاً وقال: سوف يرزقني الله سبحانه، فأقسم عليه أخو إلا يأخذ نصف ما عنده من المال يقول: أريد أشترك معك في الأجر (فسبحان واهب الفضائل والعقول). انتهى.

* * *

من حكمة وجود المماليك من الناس

أصل الرق سببه الكفر، وذلك أن المسلمين إذا استولوا على بلاد الكفار بالحرب ملكوا رقاب أهلها من النساء والذرية، وذلك خير لهم من القتل ومن بقاهم على الكفر، كما هو معروف، ولله في ذلك حِكَم عظيمة ومصالح للناس عامة، إذ ليس هو عن نقص في شخصياتهم.

فمن الحكمة في ذلك: بيان انفراد الله في ربوبيته وألوهيته وأن غيره مملوك له سبحانه، قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾[1].

أما العوائل الخضيريون: حيث تساءل كثير من الناس ما هو أصلهم؟

فأقول: كما أعرف عن هذا الموضوع: أنه ليس أصلهم الرق كما يظنه بعض الناس، بل إن بعضهم أصلهم من قبائل، ولكن بسبب الحروب وفشو الدَّمار زمن الفوضى، لأن من عادة القبائل البادية يستوفون دمهم ولو برجل من القبيلة أو من أهل البلد، فإذا خاف الرجل على نفسه ودمه هرب من قبيلته وغيّر اسمه وترك الانتساب وتزوج كذلك، وإن بعضهم الآن يعرف من أي القبائل هو ولكن لا حاجة بهم للانتساب، فبعضهم الآن أهنأ عيشاً من بعض من ينتسب.

---

(١) سورة الروم، الآية: ٢٨.

كما حصلت وقعة حرب بين أهالي إحدى القرى، وبين بعض قبائل البادية، فأسفرت المعركة عن قتل رجل من البادية، لكن البادية لم يشاؤوا يتركوا رجّالهم يذهب هدر، بل جعلوا يترصدون لأهل القرية بالطرق والبر خارج البلد لعلهم يجدون رجلاً منهم وحده يقتلونه بصاحبهم، فصادف الحال أن وجدوا رجلاً منهم وحده، فلما رآهم هو عرف أنهم غرماء أهل البلد، فلم يجد له ملجأ إلا أن تظاهر بالخبل أمامهم، فلما وصلوه لم يسلموا عليه بل قالوا: من أين أنت يا ولد؟ فقال: «أنا من بلادي وغادي، تدرون عن هلي هم لِقَوْنَنْ أو ما لقونن؟».

«غادي: ضائع بلغة أهل البلد» فنظر الأعراب بعضهم إلى بعض وقالوا: هذا مهبول ما يكفينا عن صاحبنا فتركوه.

كما أن بعضهم قد هاجر من الروم أو الفرس (إذ كان الرجل يذهب حيث شاء، فأسلم واستعرب هكذا).

ثم لا ننسى قول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾(١)، فهنيئاً لهذا أيًا كان، كما قيل:

وليس على عبد تقي نقيصة ... إذا حقق التقوى وإن حاك أو حجم

انتهـــى.

* * *

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

اطلب النجاة لنفسك

يا واعظ الناس عما أنت فاعله ... يا مَن يُعدّ عليه العمر بالنَّفَس
احفظ لدينك من عيب يدنسه ... إن البياض قليل الحمل للدَّنس
كحاملٍ لثياب الناس يغسلها ... وثوبه غارق في الرِّجس والنجس
تبغ النجاة ولا تسلك مسالكها ... إن السفينة لا تجري على اليبس
ركوبك النعش ينسيك الركوب على ... ما كنت تركب من بغل ومن فرس
يوم القيامة لا مالٌ ولا ولدٌ ... وضمّة القبر تنسى ليلة العُرس

وقيل في خلاصة دعاء الله سبحانه:

هذا الحجيج إليك يهفو ... بدعائه فعساك تعفو
كدر الحياة إذا رضيت ... فإنه برضاك يصفو
إنا نمزق في الرداء ... نسيجك وأنت ترفو

أي نخالف أمرك وأنت تعلم وتحلم: اعترافاً لله بتقصيرنا في حقه تعالى.

وقيل:

من كان يرغب في النجاة فما له ... غير اتباع المصطفى فيما أتى
ذاك السبيل المستقيم وغيره ... سبل الغواية والضلالة والردى
فاتبع كتاب الله والسنن التي ... صحت فذاك إذا اتبعت هو الهدى
ودع السؤال بكم وكيف فإنه ... باب يجر ذوي البصيرة للعمى
الدين ما قال النبي وصحبه ... والتابعون ومَنْ مناهجهم قفا

ومن أحوال العرب القدامى.

أراد أحدهم أن يذهب ويطيل الغيبة في طلب الرزق فقال لزوجته يعلمها ويأمرها بالثبات والتحمل:

عِدِّي السنين لغيبتي وتصبري ... ودَعِي الشهور فإنهن قصار

فقالت تتعطف وترقق له:

اذكر صبابتنا إليك ووجدنا ... واذكر زغيباتك فإنهن صغار

وكانوا يشبهون البنات الصغار بأفراخ الحمامة الصغار حيث تسمى زغيبات. فعطف عليهم وترك السفر.

* * *

لا تحقرنّ أحداً حتى تجربه

لا تمدحن أحداً حتى تجربه ولا تذمنه إلا بتجريب
إن الرجال صناديق مقفلة ولست تعلم ما فيها إلا بتجريب

كان أعرابي قد ضاعت إبله في البر، فذهب يتطلبها على رجليه، قد لبس عباءته الحياكة الغليظة، ونعلاه من الرّبل.؟ إذ لم تتوفر الملابس والكماليات. فيأخذ الخُرّاز كفر السيارة الخارب فيسطحونه صفائح، ويقطعون منها نعالاً لأهل البادية والأعمال البرية، فهذا الأعرابي يقال له (الطريهي) نعاله كذلك، يلبسها في الأر ض الحجرية والشوكية ويرفعها بيده في الأرض السهل، والعباية يتقي بها الحر والبرد، فعل أهل البر. أما اتقائه بها البرد فمعروف، وأما اتقائه بها الحر فإنه ما دام يمشي أو يعمل فإنه لا يحس بالحر؛ لأن الجسم يعرق فيبرده الهوى ويجعل على رأسه وقاية عن الشمس، وإذا أراد يجلس ولم يجد شجرة كبيرة لها ظل فإنه يجلس على الأرض وهو لابس عباءته فيرفع وسطها بعصاه فوق رأسه تجاه الريح، فتظله عن الشمس.

فهذا الأعرابي يسير في البر كذلك ويتطلع للعرب كي يضيفهم كالعادة، إذ أبصر خياماً بيضا، هي خيام أمير البلد يعرفه، فقصدها وقت الضحى، وكان الأمير جالساً فيها وكان الأمير يحب الإبل فيأتي يجلس حولها في مراعيها عدة أيام ثم يرجع. وكان عند الأمير في المجلس أحد إخوياه، والدلال القهوة على النار عند طرف المجلس، وعندها أحدهم اسمه محسن.

وحين قرب الطريهي ورآه الخوي الذي عند الأمير استهزله وأراد أن يقول فيه شعراً يعيبه به، فقال الخوي (يا محسن) يعني راعي القهوة، فعرف الأمير أنه يريد يثْلب الرجل المقبل عليه، فقال له الأمير: اترك الناس فلم يطع الأمير لأنه يريد يضحك الأمير، فأكمل قوله:

يا محسن أبي أهدي لك هدية　　هديـة مـن خـير الهـداوي
الـرِّجْلِيْ بابليّـا مَطِيَّـه　　تـرا مـا هـو كفـو للقهـاوي

وإذا الرجل قد قرب وسمع كلام هذا الخامل فيه، فوقف وسلم فأذن له الأمير فدخل وسلم على الأمير وجلس، فالتفت الأمير للقهوكي فأتى وصب القهوة، فلما تقهوى وسأله الأمير عن حاجته فأخبره بضياع إبله، ثم التفت الرجل إلى الأمير وقال: الرخصة يا طويل العمر؟ فالتفت الأمير إلى الخوي وقال: قد نهيتك ولكن ما أطعتني، ثم التفت إلى الرجل، وقال مرخوص.

فالتفت الرجل إلى الخوي، وقد احمرّت عيناه ينظر إليه ثم يشير إلى النار عند القهوة فقال:

لعـلّ لِـسانك في ذِيِّـه　　يـا مهـدي شَـيْن الهـداوي
القهـاوي إلْـك اولِيِّـه　　وعلينـا حكـم ضَـفَاوي
إبلـع مـن عـيش الـصِّينية　　واخـدم صَـلْفِين العَـزاوي
أنـشد عنـك ألقـاك اِهْفِيِّـه　　مـن اقلـيط وِلّا مِـن هـاوي

فارتج الخوي وتحرك ليعاقبه على البيت الأخير، فقال الأمير: اسكن هذا فعلك بنفسك، والله ما تعرضه لأقطع يدك، فسكن الخوي.

ثم إن الرجل استأذن الأمير في الانطلاق ليذهب في سبيله؟ فقال له

الأمير: تغد معنا، فتغدّا مع الأمير على ذبيحة وقت الضحى ثم انطلق في سبيله.

وقال الشاعر العربي:

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده   فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

انتهـــى.

*   *   *

في البِرِّ والصلة كسابقة

حدثني رجل هنا، يقول: كنت فلاحاً فقيراً، وذات يوم أصبحنا ولا قهوة عندنا ولا فلوساً، وإذا عندي إبريق من نحاس مستعمل، إذ الأواني غير النحاس قليلة ذاك الوقت، ولا يرغبونها لأنها سريعة الفنا، أما أواني النحاس الأحمر فهو يبقى يتوارثونه صاغراً عن كابر، إلا أنه يحتاج رِباب بالرّصاص إذا عَرِي، يعمله لهم الحدّادون، فيعود جديداً.

يقول الرجل: فذهبت بالإبريق للسوق وأعطيته البيّاع فباعه بثلاثة ريالات، ففرحت بها واشتريت حاجاتي ولحمة، وخرجت لأهلي وعملوا لنا عشاءً طيباً.

فلما أتيت البيت بعد صلاة المغرب وإذا والدتي في مصلاها تبكي، فارتعت لذلك وقلت عسى ما شر يا أُماه لماذا تبكين؟ غفر الله لكِ (وكانت قد تزوجت زوجاً بعد أبي وولدت له إبناً وبنتاً وطلقها وتركتهما عنده، لأنها لا تجد لهما كفاية عندنا) وحين رأت هذه النعمة هذا اليوم لم يهنئها دونهما فبكت لذلك.

فقالت: «كأني الآن أنظر إلى إخوانك قد وضعا رؤوسهما على عتبة الباب وناما ليس عندهما مَن يَحْنُو عليهما» فأسعدها الله بي وقلت لا تبكين يا ميمتي أعطوني لهما عشاء أوصلهما إياه هالحين قبل أتعشى، ففرحت وسكن بكائها.

فقامت امرأتي وأفرزت لهما من العشاء واللّحمة في إناء ولفته بثوب، فأخذته وذهبت به إليهما أعدو وهم في محلة ثانية تبعد عنا نحواً

من كيلوين متر، فوصلتهما فوجدتهما قد ناما على عتبة الباب، فأقمتهما ونحيتهما عن الباب فأكلا العشاء، فذهبت بهما إلى بركة الماء تحت النخل وغسلت أيديهما عن رائحة الطعام وأدخلتهما على أهلهما ورجعت، وإذا والدتي تبكي بكاء فرح ورضاء، ودعت لي بخير والحمد لله.

والشاهد من القصة أن هذا الرجل لما برّ أمه ووصل رحمه ودعت له أمه، شكر الله له فعاش بخير وسعة رزق وطال عمره، وما عند الله خير وأبقى. انتهى.

وقال راكان بن حِثْلَيْن العَجْمي:

ما حَلىٰ الفنجال مع سيحة البال	في مجلس ما فيه نفس ثقيله
هذا ولد عم وهذا ولد خال	وهذا رفيق ما نـدوِّر بديله

وقال غيره:

ما حَلىٰ يا احمود في وقت الأفجار	جَرْ الفراش وشب نار المناره
وابْـرَكْ مِنِه ركعتين بالأسحار	إيلا زانت نومة مَن حياته خسارة

كان الناس إذا نزلوا بالصحراء يوقدون النار من الحطب شجر البر في مكان معين، فإذا أرادوا إيقاد النار مرة ثانية زاحوا الرماد على جنب جهة الحطب مرة بعد أخرى وما يتبعه من الرمل، فيكون زبرة يسمونها الرمادة، ويسمونها المنارة، فهي قوله: نار المنارة. كما تقدم.

قيل:

خير الدنيا والآخرة في خمس خصال «في غِنىٰ النفس، وكف الأذى، وكسب الحلال، ولباس التقوى، والثقة بالله على كل حال».

وقال معاوية رضي الله عنه لصعصة بن صُوحان: صِفْ لي الناس. فقال: خُلِق الناس أصنافاً: فطائفة للعبادة، وطائفة للتجارة، وطائفة خطباء، وطائفة للبأس والنّجدة، ورَجْرَجَة فيما بين ذلك، يكدِّرون الماء، ويغلون الأسعار، ويضيقون الطريق، ولله في ذلك حكمة. انتهى.

*　　*　　*

من مشاكل طريق الحج في القديم

حج جماعة من هنا على الإبل، قبل أن يستتب الأمن، زعيمهم صالح المطوع، هو من رجال عُقيل، فلما وصلوا أدنى جبال الحجاز أقاموا وباتوا مكانهم وتركوا الدلال في موضعها حول موضع النار كالعادة وناموا، وكان معهم الشاعر (زين العين) وكان يقوم من آخر الليل يصلي ويعمل القهوة ويسخن الماء للوضوء ويؤذن ويوقظهم للصلاة، فلما قام على عادته وإذا الدلال ليست في موضعها قد أخذها حرامي، فتكلم سلطان للمعزب (صالح صالح) قال: نعم، قال الدلال: مأخوذة ليست مكانها.

فتكلم الحرامي خلف صخرة حولهم قال: «هذاها معي يا حضري» يستهتر بهم إذ كانت الحضارة عيباً عند البادية ذاك الوقت.

فقام المطوع وقال: «أنت يا ولد هاتهن ونعطيك قيمتهن، حنا نبغي نشتري ادلالا والآن نشتريهن منك» فقال الحرامي: سمِّع الله؟ فقال المطوع: عليك الله وأمان الله أن نعطيك قيمتهن.

فأتى بهن الحرامي ووضعهن عندهم وجلس، وأعطاه خمس جنيهات وقال: أنا اشتريها بخمس جنيهات وهاكها، فأخذها.

ثم قال له المطوع: نريدك تمشي معنا خوي (رَفَق) حتى نصل الشرايع ونعطيك خمس جنيهات أيضاً؟ فقال الحرامي: نعم، أنا خويكم إلى هناك، فكان يمشي معهم ولا ينام بالليل بل يبقى واقفاً أو جالساً يحرسهم من ربعه الحرامية، ثم يقول: «هَيْ هَيْ دونك دونك ما غير محسن

واخوياه يرفع صوته بذلك» فيعرفه الحرامية فيقول أحدهم: أهيب ـ أهيب، ويقول الآخر في الجهة الثانية: اقمح ـ اقمح، ثم يذهبون عنهم، فلما وصلوا الشرايع قبل مكة أعطوه حقه فرجع.

وهذه عادة معروفة عند الناس في سائر الطرق، أنهم إذا خافوا قوماً استأجروا رجلاً منهم يصحبهم يمشي معهم يرافقهم يحماهم من جماعته، لأنهم إذا علموا أن صاحبهم قد صار رفيقاً للقافلة فلا يتعرضون لهم بسوء. انتهى.

* * *

تابع: مناقب الشيخ صالح بن أحمد الخريصي

حدثني رجل ثقة يقول: إن القاضي فلاناً حصلت عنده قضية صعبة، فلم يتيسر له وجه الحكم فيها لعزوب الدليل عنه فيها، فأهمه ذلك، وجعل يفكر فيها عدة أيام.

وذات ليلة رأى شيخ الإسلام ابن تيمية في المنام فسأله عنها فقال له: «اسأل عنها الشيخ الخريصي تراه فيه بركة»، وكان هذا القاضي زميلاً للخريصي، فأتى إليه وأخبره بالقضية وبكلام شيخ الإسلام.

فقال الخريصي: «الحكم بالقضية كذا وكذا، واكتم عليّ» يعني كلام شيخ الإسلام فيه.

قلت: وليُعلم أن أهل السنة والجماعة لا يُعوِّلون على المنامات في جميع الأحكام الشرعية، وإنما يُعَوِّلون على (قال الله تعالى، قال رسول الله ع، قال الصحابة رضي الله عنهم).

ولكن هذه رؤيا حق أرشده فيها إلى حَيٍّ حاضر أهلاً لذلك لأنه عالم البلد وقاضيها، كما قد حصل ذلك. ولا يبعد أن يكون هذا من كرامات الأولياء، والحمد لله رب العالمين.

ومن لطف الله تعالى بالشيخ الخريصي في مرض موته: أن الله رحمه فلم ينزعج للمرض، فلم ينقل للمستشفيات ولا غرف الإنعاش ولا

سافر للخارج والحمد لله. بل صبر للمرض في بيته، وفي الآخر قد اسندوا له وأجلسوه، إذ انخفض رأسه فنظروه وإذا هو قد مات، رحمه الله، وهذا والله أعلم استجابة من الله تعالى لدعائه في القنوت «اللهم أحيينا بعافية، وأمتنا بعافية، وابعثنا بعافية، وأدخلنا الجنة بعافية، واجعلنا من أهل العافية اللهم آمين». انتهى.

* * *

دعاء الله سبحانه علاج كل مشكلة وكل مصيبة

فالله سبحانه على كل شيء قدير، وقد قال: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾[1]، وقال: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ﴾[2] الآية، وقال: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾[3]، وهذا العلاج للمشاكل والحاجات قليل من الناس من أراه يفعله ويعتمد عليه، عند كل حاجة ورغبة ورهبة. ولكن أنت إذا احتجت شيئاً، أو خفت شيئاً، أو أعياك شيء، فأحضر قلبك بين يدي الله، وادعه منك إليه بتضرع وخضوع، فإنه أقرب إليك من كل شيء: بعلمه وسمعه وبصره وقدرته، وإذا قد سبق ذلك دعاء وذكر لله وتسبيحه وقت الرخاء كان أسرع للإجابة وقت الشدة. لقوله: ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ﴾[4]، أي قبل ذلك في الرخاء.

أخبرني رجل هنا، وكان له ابن مستقيم الحال، معه سيارة قديمة، وذات مرة أبت أن تشتغل، حاول فيها ثم حاول فلم تصلح، فغطى الكبوت ثم استقبل القبلة ورفع يديه يدعو، فأنا أراه وهو لم يعلم بي، ثم ركب وشغلها فاشتغلت وسار عليها وذهب.

وهنا فلاحون نخيل ومزارع، ركّبوا ماكينة ماء في أول وجود صناعة

---

(١) سورة غافر، الآية: ٦٠.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٢.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٢١.

(٤) سورة الصافات، الآية: ١٤٣.

المكائن، وعملوا عليها فأعجب الناس جودة مائها.

وذات يوم وقفت فأحضروا لها المهندس فلم يجد بها علة ولم تشتغل، فقال أبوهم اتركوها، فلما أصبح الأب دخل غرفة الماكينة وأغلق الباب وجعل يقرأ القرآن وينفث عليها ويدعو الله حتى الظهر، ثم بعد الظهر حتى جاء العصر، ثم بعد العصر حتى جاء المغرب، فلما أصبحوا شغلوها فاشتغلت واستمرت بعافية.

وأخبرني رجل هنا يقول: كانت معي سيارة طيبة، وركب معي رجل لم يستطع السيارة، فأعجبته، فلما وصل وأراد ينزل أبي الباب الذي يليه أن ينفتح، حاولنا فيه ثم حاولنا فلم ينفتح، فتسلل ونزل من الباب الثاني وذهب، فبقيت في السيارة اقرأ القرآن وأنفث فيها، ثم جربت الباب فانفتح.

وأخبرني رجل هنا أيضاً أنه في أول وجود شرطة المرور، يقول: كنت أسير في طريق فما راعني إلا أن درعت بهم، يفتشون على الرخصة وأنا ليس معي رخصة ولا حفيظة فجعلت أدعو الله وأقرأ: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾[1] الآية، فلما وصلتهم اشتغلوا بغيري وتركوني أعبر.

وهنا امرأة، وكان ابنها جذعاً يافعاً قد أعياها وساءت أخلاقه، فلجأت إلى الله سبحانه وأكثرت الدعاء فيه، وتقوم آخر الليل تصلي وتدعو الله فيه، فهداه الله وحسنت أخلاقه وصار يقوم يذهب للمسجد يصلي بدون

---

(١) سورة يس، الآية: ٩.

أنها توقظه أو تأمره، وقام ببرها، واستمرت تدعو له وتشكر الله على فضله، فربحته بعد أن داخلها اليأس من خيره وصلاحه، والحمد لله رب العالمين.

وهنا امرأة حصل بينها وبين زوجها اختلاف، وحرصت على إصلاح حالها معه فلم يصلح، فلجأت إلى الله ودعاءه، فهداه الله سبحانه واعتدلت سيرته معها.

وكل هذه القصص صحيحة واقعية، وقد مرّ عليّ بعضها وأشد منها، ويصلحها الله بالدعاء والاستغفار، لاسيما سابق الدعاء وقت الرخاء. كما قالت رابعة العدوية: «كُلْها يا سيدي والله ما نضجت إلاَّ بالتسبيح».

قيل:

كـم جاهـل متواضـع ستـر التواضـعُ جهلَـه
ومميّـز في علمـه هـدم التكـبر فـضله
فـالكبر عيـب للفتـى أبـداً يُقَـبِّح فعلُـه

انتهـى.

* * *

من سياسات الأعداء

إعمال جهودهم في الاستيلاء على بلاد المسلمين وغيرها.

حدثني رجل كان يزاول الأعمال في بعض بلدان الخليج، يقول: جاء رجل إلى إحدى بلدان الخليج، في أول وقت ظهور الصناعات، وسكن البلد، وصار يتداخل مع سائر المسئولين بسماحة وتحبب.

ثم طلب من ولاة البلد أن يبيعوا عليه موضعاً عيّنه خارج البلد مرتفعاً، يريد ينصب فيه عموداً من حديد، فطلبوا عليه ثمناً كثيراً فأعطاهم، وهو يريد يوجد فيه محطة (برقية) وهم لم يعرفوها، فلما نصب العمود احتاج رباطات تمد حوله في الأرض، فقالوا: قف. إنما بعنا عليك موضع عمود؟ قال: صدقتم ولكن بيعوا علينا موضع الرباطات، فباعوها عليه بثمن أكثر.

فبنى عليه سوراً جيداً، فلما اشتغلت البرقية تهافت الناس عليها، فقال لإمارة البلد، خذوا فلوس محصولها لكم: فأعجبهم سخاؤه، وزادت محبته عندهم.

ثم قال لهم: «إن البلد عنوان أهله» وإن بلدكم يحتاج إصلاحات (حمامات في الطريق وبعض الحارات وتنظيف القمامات) فأنا مستعد أجيب عمالاً يعملون لكم هذا كله، وأنا أساعدكم بنصف أجرتهم؟ فوافقوا على ذلك وقالوا: مشكوراً، فذهب وأتى بعمال كثيرين لتطوير البلد بزعمه، ثم أتى لهم بزيادة، وجعل يستورد صناديق يدخلها في سور البرقية يزعم أنها عُدد للعمل وملابس للعمال، وهي في الحقيقة سلاح مخفي.

وذات ليلة لبس هؤلاء العمال لباس الجندية والسلاح ضباط وجنود وأصبحوا قد مسكوا الشوارع والطرق وقبضوا على المسئولين وحاصروا قصر الحكومة حتى خضعت لهم، وسحبوا منهم المال الذي أعطوهم وغيره، وأخذوا منهم السلاح. فبقوا تحت براثن الاستعمار.

وقد جرى مثل ذلك لبعض بلاد الهند، كما في المثل (أخذت الهند بمرآة ومقص وإبرة).

وذلك أنه أتى للهند رجلان (روّاد لدولة هناك) وجلسا على الطريق يبيعان من أغراض الناس الخفيفة (مرآة ومقراض ومكحلة وإبرة) ونحو ذلك، ويتسامحان مع الناس، ويتحببان إليهم، حتى توسعا في العمل، ويأتون برجال يقومون بأعمالهم. ثم توصلوا إلى صداقة رئيس البلد، ثم طلبوا منه إقطاع أرض بناحية البلد، فأقطعهم، وسوروها، وجعلوا يستوردون صناديق على أنها بضائع للتسويق وهي سلاح مخفي، حتى ملئوه، ويستوردون رجالاً بدعوى أعمال التسويق حتى كثروا.

ثم دبروا انقلاباً على الرئيس عن طريق الصداقة.

فاستولوا على البلد بهذا الاحتيال، نسأل الله العافية لنا ولبلادنا وولاتنا من سائر الأشرار. انتهى.

* * *

الخَـوَر
بسبب عدم الاعتياد والممارسة

حج رجل من أهل بعض بلدان الخليج، مع الجماعة زمن الإبل، وكان لم يعتد الخروج للبر والركوب على الناقة والتعب والحر والبرد، وكانوا يركبون في كواجة مثل النساء لأجل يرتاحون، وكان هذا الرجل قد استأجر رجلاً من أهل نجد يخدمه، فلما استمروا بالسير ظهر خَوَرُ هذا الرجل الحاج، واستبعد رجوعه لبلده، وأراد يفرج الضيقة عن نفسه، فالتفت إلى صاحبه وقال: يا فلان، قال: نعم، قال: إذا رجعنا لأهلنا نذبح عشر نوق، قال: نعم أنت تذبح أكثر يا عم (يصانعه على قوله ليؤنسه) فصار هذا الحاج كلما اشتد به الخور والضعف وتعاسة السفر يفرج عن قلبه بهذا الكلام: يا فلان إذا رجعنا لبلدنا نذبح عشر نوق. (جمع ناقة)، من الإبل يريدها عيداً، وكان الناس يفرحون باللحم يأكلونه، فلما وصلوا مكة التهوا بالحج، فلما خرجوا راجعين واشتد به الخور أعاد الكلام على صاحبه: إذا وصلنا أهلنا نذبح عشر نوق، ويكرر هذا. حتى قاربوا البلد، فدبّت به روح الرجا بالسلامة فجعل يتراجع قائلاً لصاحبه: يا فلان، لماذا نذبح عشر نوق؟ تكفي خمس نوق، فقال صاحبه: نعم تكفي يا عم، ثم قربوا شيئاً، فقال: يا فلان، شِنْهُ نذبح خمس نذبح ثلاث تكفي، قال: نعم

تكفي يا عم، ثم قربوا شيئاً قال: شنه نذبح ثلاث، نذبح ثنتين، واحدة، فلما عاينوا البلد قال: يا فلان نذبح كبش، نشتري جوز رجلين، يعني رجلي كبش جاهزة، قال: نعم يكفي يا عم، ونسلم من وسخات الذبح والدم، فلما وصلوا الدِّروازه (باب البلد) قال: يا فلان، شنه نشتري جوز رجلين، نشتري اسميكه لي أنا وإياك، قال الخادم: نعم تكفي يا عم. انتهى.

* * *

جهود في طلب العلم الشرعي العتيق

حدث أحد العلماء عن كيفية طلبه العلم، هو قد قرأ مبادئ القراءة لدى المطاوعة، ثم لدى بعض العلماء، ولكن لم يمكنه مواصلة التعلم هنا بسبب ضيق الحال بقلة ذات اليد. فذهب يكمل التعلم في مدينة الرياض، حيث يوجد فيه داراً لطلبة العلم، في ظلال حكومة الإمام عبدالعزيز آل سعود تحت إدارة آل الشيخ (فأنا قد درست في هذه الدار في مدرستها الابتدائية حيث ذهب بنا الوالد رحمه الله للرياض نمشي على أرجلنا لذلك وأنا ابن إحدى عشرة سنة).

أما كيفية ذهاب هؤلاء الطلبة إلى الرياض: فإنهم يجتمعون عدة أشخاص من خمسة إلى ستة أو سبعة، وهنا رجل صاحب جمل يسلمون له أجرة كل نفر ريالاً واحداً، يذهب بهم للرياض، يحمل لهم الماء والزهاب على الجمل ويدلهم الطريق ويحماهم من الحرامية، وهم يمشون على أرجلهم. فإذا أوصلهم الرياض وإذا فئة أخرى كذلك يريدون يرجعون معه، يسلمون له كل نفر ريالاً. هذا دأبه طول الوقت (هو أو غيره) يأتي بفئة ويرجع بأخرى، ويقطعون الطريق بنحو عشرة ايام.

أما هم إذا وصلوا الرياض سلموا على الشيخ محمد بن إبراهيم واستأذنوه في طلب العلم والدخول في الدار أسوة غيرهم؟ فيسندهم إلى عميد الدار ينزلهم في غرفة ويسجلهم ضمن الطلبة، يقرءون على الشيخ نفسه: بعد صلاة الفجر في المسجد إلى بعد طلوع الشمس، ثم وقت الضحى في بيته إلى قبل القائلة، وبعد صلاة الظهر، وبعد صلاة العصر،

وبعد المغرب، فإذا هَلّ الشهر أعطاهم الشيخ كل نفر ريالين. يقول: فأنا وزميلي في غرفة ومصروف أكلنا من هذه الريالين، فنشتري نصف قَلَّة تمر بريالين، من قلال الأحساء، معروفة مقدارها عشرون وزنة، فنضعها في جانب الغرفة، نأكل منها عشاء وغداء ليس لنا طعام غيرها، إلا يوم الخميس يعزمهم الشيخ يعشيهم في بيته عشاءً جيداً على لحم، ينفعهم طول الأسبوع (فأنا حضرت هذا العشاء مرة مع والدي) رحمه الله.

يقول: وكل واحد منا قد بقي معه ريالاً واحداً من راتب الشهر، فإذا هلّ الشهر الثاني وإذا القلة قد نفدت، وسلموا لنا ريالين، فاشترينا قلة أخرى بريالين وبقي معنا على ريال أيضاً، وبعد ستة شهور أو سبعة وإذا هذه الفئة قد اشتاقوا إلى أهلهم، وتحصل مع الواحد ستة ريالات أو سبعة فانتظروا صاحب الجمل أو غيره، فسلموا له على ريال فرجع بهم، فأقاموا عند أهلهم نحو شهر فنفدت الريالات لم يبق إلا ريال صاحب الجمل، فانتظروه وأتوا معه للدراسة، وبعضهم لا يرجع لأهله حتى ينتهي من الدراسة إلى نحو خمس سنوات.

والشيخ لا يريد يعطيهم فلوساً أكثر من ذلك لأجل لا يدخل معهم في طلب العلم إلا من له نية صالحة خالصة لله في طلب العلم الشرعي لا يريد أطماع الدنيا، فلهذا ظهر عليهم أثر هذا الصلاح: فغالبهم يتحصل على غالب فنون العلم وحفظ القرآن عن ظهر قلب حفظاً جيداً، وينشئون على إيثار عدم الشهرة وأن لا يطلع أحد على ما عنده من ذلك، وعلى الاجتهاد في العبادة سرًّا مع الله سبحانه، ويتلذذون بذلك.

فنحن قد شاهدنا هذا وعلمنا من بعضهم، حسبهم الله لا نزكي على

الله أحداً. فبعضهم تعرض عليه الوظيفة وهو في حاجة للمادة فلا يرغبها ولا يوافق عليها تورُّعاً، وربما يُلزم بها إلزاماً.

وكانوا يهتمون لحفظ القرآن عن ظهر قلب ويتفرغون له من جميع الشواغل، كما قال الشافعي (لو اشتريت بصلة لنسيت مسألة) لاسيما في الصغر، فله عندهم مستوى رفيع، ولا يعتبر طالب علم حتى يحفظه، يتعبدون لله بحفظه وتلاوته ويأخذون منه عامة العلوم واللغة.

هنا أحد العلماء وجَّه ابنه لحفظ القرآن فقام الابن بذلك وقارب إكماله فلما قرب رمضان قد بقي عليه نحو شهرين قال الأب: يا محمد استعد ترانا نريدك تصلي بالجماعة التراويح من حفظك إن شاء الله، فزاد اهتمام الابن وترك الاجتماع بأهله وغيرهم لضبط الحفظ، فصلى بهم التراويح بحفظ جيد (فأنا زرته فبتّ عنده ليلة في رمضان لأنه خالي فكان يقرأ من حفظه ونحن على أكل السحور قراءة سهلة عليه مع النَّفَس).

وزرنا أحدهم في مرضه فإذا هو مشتغل بقراءة القرآن من حفظه وهو على فراشه، فيسألنا عن أحوالنا ثم يعود يقرأ ونحن جلوس عنده يسمعه القريب منه، فمات في مرضه هذا وهو يقرأ القرآن، رحمه الله. ومثل هذا كثير معلوم.

وأخبرني أحدهم في بحث بيننا وقد حفظ القرآن عن ظهر قلب وهو (أعمى) يقول: إني أقرأ خمسة أجزاء من القرآن في الساعة الواحدة قراءة طيبة تفهمها.

قيل:

لا تعرضـــنّ ذكر همـــو لـــذكرنا   ليس الصحيح إذا مشى كالمقعـد

أما نحن فكما قال ابن القيم في رسالته التبوكية:

فعنــد مــراد الله تفنــىٰ كميــت	وعند مراد النفس تُسدِي وتُلْحِمو
وعند ورود الأمر تحتج بالقضى	ظهيراً على الرحمن للجبر تزعمو
أهذا جناء العلم الذي قد جنيته	لنفسك في الدارين جاه ودرهمو

وقال:

يـا عاشـق الـدنيا تأهـب للـذي	قـد نالـه العـشاق كـل زمـان

وأخبرني أحد طلبة العلم، يقول: كان محمد بن عبدالله آل سليم عالم بريدة: على مستوى جيد من العلم والصلاح، حسبه الله لا نزكي على الله أحداً، وكان أبناءه عبدالله وعمر قد لازماه وترووا من العلم.

ثم اشار الشيخ على ابنه عمر أن يذهب للرياض ليدرس على الشيخ عبدالله بن عبداللطيف هناك ليحقق العلم عليه، فامتثل أمر أبيه، فذهب هو وأحد زملاءه للرياض مع بعض القوافل، فلما وصلوا الرياض وسلموا على الشيخ عبدالله: عرّفوه بأنفسهم واستأذنوه بالجلوس عليه للدراسة؟ وكان الشيخ يعرف مستوى آل سليم في بريدة عرفاً جيداً، فأذن الشيخ للزميل وسكت عن عمر، فصار عمر يجلس حول الحلقة يستمع قراءة الطلبة وتقرير الشيخ عليها.

وبعد يومين أو ثلاثة أعاد عمر الاستئذان (عفا الله عنك يا شيخ نحن أتينا هنا لنتزود من طلب العلم والخير: والوقت يؤخذ منه) فقال الشيخ: قم أجلس خلف ذاك العمود في المسجد ليدرس عليك الطلاب قرر واشرح لهم على قراءتهم، فقام عمر وجلس هنا حسب أمر الشيخ فأمر

الشيخ بعض الطلاب يدرسون عليه، فيقرر لهم ويشرح.

وبعد عدة أيام أعاد عمر الاستئذان والاعتذار إلى الشيخ قائلاً: (عفا الله عنك يا شيخ؛ أنا أتيت هنا أريد أتزود في طلب العلم، وإذا لم تر ذلك أنت يا شيخ فأذن لي بالرجوع إلى أهلي، بارك الله فيك).

فقال الشيخ: أما دراستك هنا ما لها داعي، وإذا تريد الرجوع فنحن نأذن لك وسلم لنا على والدك. فوادع الشيخ وأتى راكباً مع بعض القوافل على الإبل.

وكل هذا من معنى قول الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ ﴾[1].

فالهدى هو العلم النافع، ودين الحق هو العمل الصالح، ومنه العدل في الأرض.

نسأل الله الكريم من فضله. انتهى.

* * *

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٣.

تابع: أصالة البِنْك

كانت عائلة هنا قد زوجوا ابنتهم ابن عائلة هنا كذلك، وهي في أول سن بلوغها، وكانت عند أهله عادة الناس، وكانت البنات والزوجات يقمن بعمل البيت المطبخ وغيره، فكانوا يَقْسِمون العمل بينهن، فكل واحدة تقوم بعمل المطبخ أسبوعاً والأخرى تقوم بالأعمال الأخرى من تغسيل وتنظيف، وهذا القَسِم لأجل ينضبط عمل البيت.

فهذه البنت لاحظت عليها خالتها (أخت أمها) أثر الإرهاق في وجهها، فسألتها عن حالها؟ فلم تذكر البنت إلا خيراً فألحت عليها وأقسمت ألا تخبرها؟ وكان عند أهل زوجها بنت جذعة لم تبلغ سن الزواج ولكنها قد تسلطت على هذه البنت الزوجة تتحداها وتلمزها بكلام نحس بينها وبينها لم يعلم بها أحد، فأرهقتها بذلك، والبنت الزوجة صابرة لم تبدي حالها لزوجها ولا غيره، إلا خالتها لما سألتها وألزمت أخبرتها. فاتصلت الخالة على أم البنت وأخبرتها بالواقع وقالت: إذا ما كفّت شرها عن بنتنا فسوف نبلغ الرجال بذلك.

فاهتزت المرأة وتنصلت وقالت: «والله ما علمت بذلك، وأحسنتي إذ أخبرتيني، وسوف ترضين إن شاء الله يا أم فلان، فنحن لا نرضى بالخطأ منا ولا علينا، ولكن السفهاء قد يحصل منهم ما ليس بالحسبان».

فانكف شرها عن البنت الزوجة بعد ذلك، وظهر على وجه الزوجة الأنس والراحة. والحمد لله رب العالمين. انتهى.

تابع عفاف نساء أهل نجد

قيل: كان رجل هنا عنده زوجته وأخته، وقد أكرم أخته وصانها، فلا تعرف الخروج من البيت، فهي من مخبئات الخدور، فغاب هو مرة وتركهن في البيت، ثم حصل حفلة عرس حولهم في الحارة، فقالت الزوجة للأخت: ودنا نذهب نحضر أفراح العرس؟ فقالت الأخت: أنا لا أريد الخروج لأن أخي لا يسمح. فقالت الزوجة: هو الآن غائب وسوف لا يعلم بخروجكِ، وأنت أحضري ولو بعض الحفلة ثم ارجعي للبيت، فقالت الأخت: أنا ما أعرف الطريق أرجع وحدي، قالت الزوجة: نربط خيطاً طويلاً في حلقة بابنا ونمده إلى باب الحفلة، فإذا أردت ترجعين فامشي مع الخيط حتى تصلين طرفه في بابنا فادخلي فيه، فعملت الزوجة هذا الخيط في الباب وذهبت به وعقدته في باب الحفلة، قد طرحته على الأرض في الطريق، ثم حضرن الحفلة.

ولكن قد علم بحال البنت امرأة منافسة لها، فأخذت الخيط من بابهم وعقدته في باب رجل أعزب ليس عنده زوجة.

فلما صار في أثناء الحفلة أرادت البنت الرجوع للبيت فخرجت ومشت مع الخيط حتى وصلت الباب فتحته ودخلت، وكانت الأبواب من الخشب لا تغلق إلا عند النوم غالباً، وإذا هو رجل وحده (أعزب) فسألها عما أتى بها هنا؟ فأخبرته (فصار هو رجل أمين) قال: اذهبي لبيتك، قالت: ما أعرفه. فأدخلها في جانب بيته وأغلق الباب بينه وبينها، ويُدخل عليها طعامها وشرابها من كوة الباب أو من تحت الباب

الخشب.

ولكن تسلط عليه الشيطان يريده يفعل بها الفاحشة، وهو يدافعه ويجاهد نفسه، فإذا تغلب عليه الشيطان أدخل أصبعه بالنار أو السراج، فإذا ذاق ألم النار قوي صبرهن فهذه حاله طول أيام إقامتها عنده.

فلما جاء الرجل (أخوها) أخبرته زوجته أنها ضاعت، فوقف عند باب المسجد حين خروجهم من الصلاة وقال:

مـن عَـيَّنْ لي بكـرة يـا جماعـة   بكـرة الـرحمن يـا نـسل جـدي

يكرر هذا الكلام؟ فمسك يده أحدهم ولفته عنهم وقال: أبشر بها. وتعال نسألها نتأكد، فلما رأته بكت وقالت: أخوي أخوي. ثم قال له: أبشر أن عِرضها سالم، قد عصمني الله من الشيطان، وانظر أصبعي قد أحرقته النار في مجاهدتي نفسي والشيطان، فقال أخوها: مالها أولى منك فأنت تستحقها فلاتخرج من بيتك.

فعقد له عليها وسلمه إياها زوجة له. فالله أكبر سبحان مصرف الأمور. انتهى.

* * *

لا تضحك، بل احمد الله أن عافاك

كان رجل هنا فقيراً، وباتوا وأهله بلا عشا، وأصبحوا كذلك يومهم كله، فلما كان بعد العصر قالت له امرأته: اذهب تطلب لنا شيئاً نأكله لا نهلك هنا، فذهب للسوق فلم يدرك شيئاً، فلما قرب المغرب أتى لراعي دكانٍ وأخبره بحاله فلم يحصل منه نجده، فقال له: لازم تنقذنا أترضى أن نموت وسط البلد وأنت تعلم بنا؟ فأعطاه ريالاً قرضاً. وإذا الناس قد أغلقوا للمغرب ولا حركة بعد المغرب لا بيع طعام ولا خبز ولا غيره.

فأتى يصلي المغرب بالمسجد حول بيته يريد إذا صلى يذهب لمن كان يبيع التمر أن يسعفه بطعام هالحين. فأتى يتوضأ من المغاسل بناحية المسجد، والماء يزعبه من البئر (الرَّكِية) بالدلو مَتْحاً، وقد جعل الريال في مخباته نصلة، يعني مجرداً بدون كيس، وكان الريال من الفضة لم تظهر الورق، وفي حالة متحه الدلو من فوق إلى تحت خرج الريال من مخباته وسقط في البئر فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، سوف أصلي مع الجماعة أولاً ثم أنزل أخرجه.

فلما صلى أتى للبئر وخلع ثوبه وعلقه ونزل يلتمس الريال في قاعة البئر، ولكن صار الماء كثيراً فلم يتمكن من الحصول عليه، فخرج وإذا ثوبه قد سرق فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، قدر الله وما شاء فعل، الحمد لله على أقدار الله.

والآن يريد يخرج لبيته فينتظر خلو الشارع من الرجال المشاة فخرج عرياناً يعدو ويدخل في بيته، فرآه جاره حين أتى عرياناً ودخل، فارتاع جاره لذلك، فأتى ودق الباب فجاوبته المرأة قائلة: فلان غير موجود، فقال: «بلى: أنا جاركم فلان ورأيته أتى عرياناً ودخل هنا، وأريد أسأله ماذا أصابه؟» وحيث لم يكن له ثوب آخر غير الذي سرق فلتحف بثوب امرأته وأتى يكلم جاره فأخبره بحالهم وبالذي حصل عليه؛ فاهتز الجار وانفعل وكيف كانت هذه حال جاره وهو لم يعلم به، فرجع لبيته وأتى له بثوب من ثيابه وقال: ألبسه وتعالوا كلكم ننقذكم بعشانا الجاهز، فأتى بهم وبادروهم بالعشاء، وأعطوهم طعاماً، وأعطاه ريالاً بدل الريال الذي سقط بالبئر. فالحمد لله ونسأله العافية من البلاوي والمحن.

وكان الناس يوقدون النار بالحطب فينفد ما عندهم منه، فيتطلبون من الحطب، ما يسد حاجتهم، حتى الجَلَّة (وهي بعر الإبل والبقر) فيجدون الجلَّة في محل تجمعات الإبل والطرق.

وهنا رجل في البلد لما خرج من المسجد بعد صلاة المغرب وإذا يمرُّ من حوله امرأتان يمشين في جانب الشارع بخضوع، وكانت المرأة لا تخرج بالليل إلا معها رجل، لذا استغرب حالهن فتبعهن عن بُعد، فخرجن من خُرْقة في سور البلد قد فُتحت حين أمَّنت البلاد، فذهبن خارج البلد حتى وصلن أحد مواضع الإبل، والرجل في إثرهن عن بُعد، فلما وصلنه وإذا فيه بعير ميت، قد رأينه بعد العصر وهن يلتقطن الجلَّة، أدركنه قبل أن يسحبه أهله ويخرجوه خارج البلد بعيداً، فقعدن عليه وقطَّعن منه لحماً

في قدرين معهن، بسبب الجوع لم يجدن طعاماً يأكلنه فأخذن من لحم الميتة ليأكلنه، فرجعن في طريقهن، واختفى الرجل عنهن، ثم تبعهن عن بعد حتى دخلن في بيوتهن، فذهب لبيته وأخذ طعاماً فأعطاهن إياه، وصار يتعاهدهن بالصدقة ويخبر بهن من يظن به نجدة، جزاه الله خيراً، والحمد لله رب العالمين.

ويوجد هذا العفاف وعِزّة النفس في كثير من العوائل رجالاً ونساء، يصبرون ويخفون أحوالهم عن الناس، حياءً، ومروءة، وتعزُّزاً، وأملاً بالله تعالى.

وكانت عائلتان في البلد جيراناً لبعضهم، فكانت إحدى العائلتين أغنياء والعائلة الأخرى مستورة الحال.

وكانت عادة الناس يتعاهدون جيرانهم بالخير ويطعمونهم من الطريفة وهو اللحم ونحوه، إذ كانوا يشفقون عليه لأنه لا يحصل لهم إلا عن بطء ولو كانوا أغنياء.

وذات يوم خرج ابن الفقراء ومعه لحمة يأكلها ورآه ابن الأغنياء فغار منه، وأخبر أهله فصار في أنفسهم شيء إذ لم يطعموهم منها. فلما خرجوا من المسجد مشى الرجل الغني مع جاره الفقير وقال له: «ما أحسنتم الجوار يا أبا فلان»، فقال الجار: وماذا يا أبا فلان؟ فقال: «إذا لم تطعمونا من الطريفة فلو أخفيتموها عنا كان أحسن»، فقال الرجل: إنها لا تحل لكم (يعني أنها لحمة ميتة، قد اضطرهم الجوع إذ لم يجدوا طعاماً فأكلوا من الميتة) وقال: إننا قد أخفيناها ولكن الأولاد جهال.

فبكى الرجل الغني، وتأسف إذ كيف جيرانه يضطرون لأكل الميتة جوعاً وهو لم يعلم بحالهم، فوصلوهم بطعام عاجل وصاروا يتعاهدونهم بعد ذلك. انتهى.

والتستر بأكل الميتة أحسن وأفضل من التشكي وسؤال الناس.

وقد روى الإمام أحمد وابن حبان، قال ﷺ: «**إن الله يحب أن تؤتى رُخصه كما يكره أن تؤتى معصيته**» تفسير ابن كثير. في قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1]، والمخمصة الجوع. وفي المثل: «مِنَّة الله ولا منة خلقه». انتهى.

* * *

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

نصائح من منظومة الآداب لابن عبدالقوي المقدسي

قال رحمه الله:

وعندي من نظم القريض أمانة ... سأبيدها لأهدي واهتدي
وفي قمع أهواء النفوس اعتزازها ... وفي نيلها ما تشتهي ذِلّ سرمدي
ولا تشتغل إلا بما يُكسب العُلا ... ولا ترضى للنفس النفسية بالرَّدي
وفي خلوة الإنسان بالعلم أنسه ... ويسلم دين المرء عند التوحد
ويسلم من قِيلٍ وقَالٍ ومن أذى ... جليس ومن واشٍ بغيض وحُسَّد
فكن حِلْسَ بيتٍ فهو ستر لعورة ... وحرز الفتى عن كل غاوٍ ومفسد
وخالط إذا خالطت كل موفق ... من العلما أهل التقى والتسدد
يفيدك من علم وينهاك عن هوى ... فصاحبه تُهدى من هداه وتَرشد
وإياك والهمَّازَ إنْ قمت والبذي ... فدعه فإن المرء بالمرء يقتدي
ولا تصحب الحمقى فذو الجهل إن يرم ... صلاحاً لشي يا أخا الحزم يُفسد
وخير مقام قمت فيه وخَصلة ... تحليتها ذكر الإله بمسجد
وكفّ عن العورا[1] لسانك وليكن ... دواماً بذكر الله يا صاحبي نَدِي[2]

وحصن عن الفحشاء الجوارحَ كلها ... تكن لك في يوم الجزا خير شُهَّد

---

(١) العورا: عيوب الناس.

(٢) نَدِي: أي رطباً بذكر الله.

وواظب على درس القرآن فإنه ... يُلَيِّن قلباً قاسياً مثل جلمد[1]

وحافظ على فعل الفروض بوقتها ... وخذ بنصيب في الدجى من تهجد

وناد إذا ما قمت في الليل سامعاً ... قريباً مجيباً بالفواضل يبتدي

ومدّ إليه كفّ فقرك ضارعاً ... بقلب منيب وادع تعط وتسعد

ولا تسأمنّ العلم واسهر لنيله ... بلا ضجر تَحْمد سُرى السير في غد

وكن صابراً للفقر وادَّرع الرضى ... بما قدَّر الرحمن واشكره واحمد

فما العز إلا في القناعة والرضى ... بأدنى كفاف حاصل والتزهد

فمن لم يقنعه الكفاف فما إلى ... رضاه سبيل فاقتنع وتَقَصَّد

فمن يتغنَّى يُغْنه الله والغِنى ... غِنى النفس لا عن كثرة المتعدد

ولا تطلبن العلم للمال والريا ... فإن ملاك الأمر في حسن مقصد

وكن عاملاً بالعلم فيما استطعته ... ليُهْدى بك المرء الذي كان يقتدي

حريصاً على نفع الورى وهداهمو ... تنل كل خير في نعيم مؤبد

وإياك والإعجاب والكبر تحظ بالسـ ... ـعادة في الدارين فارشَد وأرشد

وها قد بذلت النصح جهدي وإنني ... مُقر بتقصيري وبالله اهتدي

* * *

(١) الجلمد: الحجارة.

بر الوالدين في حياتهما

حدثنا رجل ثقة قال: كان أبوي نجّاراً... وكان النجار هنا يعمل في بيته، يفتح باب الحوش للزبائن، ويجعل عليه مظلة من السعف، وكانت النساء قليلة الخروج ذاك الوقت ليس لها مشاوير ولا للأسواق، إنما تخرج لزيارة أهلا بعد سنة أو نحو ذلك، بعد صلاة الفجر أو بعد المغرب. ويكون معها مرافق إما رجل أو امرأة كبيرة، وذلك صيانة لها ورفعاً لشأنها وتشريفاً لأوليائها.

الحاصل يقول الرجل: كان أبوي يعمل في مشغله قبل غروب الشمس وذاك الوقت لم يوجد الكهرباء، فالجزار إذا بقى عند وصلات (قطع من اللحم) لم تنباع يخرج بها من الدكان للبيت قبل المغرب، ويعلقها في حوشه لأجل يطرقها الهوى حتى لا تفسد، ويرجع بها الصباح يبيعها ولو برخص.

فهذا النجار أبوه شايب جالس عنده: إذ مرَّ مع الشارع جزار يحمل على ظهره وصلة لحمة طيبة، وبيته غير بعيد منهم يريد يعلقها في حوشه.

فلما رآها الشايب تاقت نفسه لها فقال لولده: يا فلان، قال: سَمْ (يعني نعم)، قال: هل تريد تضحي لي إذا أنا مِتُّ؟ قال: نعم إن شاء الله، قال الأب: هات لي هذه اللحمة التي مع فلان اشبعني منها هالحين وإذا أنا متّ فلا تضحي لي (أنت في حل مني) فقال الابن: إن شاء الله.

وإذا الابن ليس عنده دراهم يشتري بها، فأخذ القَدُّوم الذي هو يعمل به (آلة جيدة) وذهب للجزار وطرق عليه الباب وإذا هو قد علق لحمته،

فقال له: «هذه اللحمة التي معك كم قيمتها؟» فأخبره فقال: خذ هذا القدوم ارهنه عندك حتى آتيك بالفلوس وأعطنيها إحملها لي للبيت. فحملها له. فقال الرجل لأهله: اطبخوا لنا منها واجعلوا فيها مرقة، فلما صلوا العشاء الآخرة قدموها لأبيهم فجعل الأب يرشف من المرق ويأكل من اللحم حتى طاب خاطره، فحمد الله وقال: الله يخلف عليك يا وليدي وييسر رزقك ويصلح ذريتك ويجعلك تأكله من ثمار الجنة... قلنا: آمين. انتهى.

* * *

أوقظ بكنز

كان رجل يقال له ازميع، قد أوقظ بكنز، لكن في إحدى بلاد الأمصار، حيث قيل له: اذهب إلى بلاد كذا وكذا تجد بها كنزاً، فطمع الرجل وعزم وسافر إلى هناك، فلما وصلها لم يعرف كيف يجد بغيته، فوجد رجلاً شايباً أعمى قد وُضِع له وسائد عند بابه يجلس عليها، يتونس بمن يمرّ به. فسلم عليه هذا الرجل وجلس عنده يطلب منه الضيافة، فاستغربه الشايب وجعل يسأله حتى أخبره أنه قد أوقظ بكنز في هذه البلد وأنه لا يدري أين يجده.

فضحك عليه الشايب وقال: تأتي من بلادك إلى هنا من أجل أضغاث أحلام؟ «أنا قد أوقظت بكنز: تحت مربط حمار ازميع بغاف، فأين هو؟» ولكن ارجع إلى بلدك ولا تستخفك الأحرم.

ففرح الرجل بهذا الخبر وقال بنفسه: هذا هو الكنز الذي أنا أوقظت به «فأنا ازميع وبيتي بمحلة الغاف وعنده مربط حماري، وإنما أمرت أن أتى هنا لأعلم خبره من هذا الشايب»، ساقني إليه القدر.

«وهذا والله أعلم لأن مصالح الدنيا لا تنال غالباً إلا بعد عناء ومشقة» فوادع الشايب وقال له: سوف ارجع لبلدي وأعمل بوصيتك إن شاء الله.

فلما وصل إلى محله حفر تحت مربط حماره فوجد الكنز فيه، من دِفْن الجاهلية، ويقال له (الرِّكاز) ويعطى ولات البلاد خُمُسَه، كما يقولون في كتب الأحكام (وفي الرِّكاز الخمس) مثل الفيء. انتهى.

حنينها على الزوج

كان رجل هنا فلاحاً في مزرعة تسمى (رميثة) وكان شايباً أعرجاً فمات ذات ليلة، فانفجعت عليه زوجته، وكان نسلها منه بنات، فجعلت ترثاه بقصيدة وتسند إلى ابنه محمد (كان من زوجة قبلها) قالت:

عَـــلْ ارميثـــه مـــا تـــسيل	ولا يغـــرس بهـــا نبـــات
مـات بها شيّال الحمـل الثقيـل	والمـــشكلة هالبنـــات
قال محمد مشكلكِ عندي قليل	مـــادام راسي بالحيـــاة
قلـتُ عـسى عمـرك طويـل	أولا يَعْـــدِمنّكْ هالبنـــات

وأخبرنا رجل ثقة يقول: كان هنا رجل شاب فيه عيب في جسمه وكلامه، وهنا رجل في الحارة مُتَعافياً وله زوجة وأولاد، ولكنه تسلط على هذا العائب كلما رآه استهزأ به في مشيه وكلامه، يقول الرجل: فنصحته وخوفته فلم ينته، ثم ما لبث أن مات هذا المتعافي.

ثم أشاروا على المرأة أن يتزوجها هذا الشاب العائب، فأجابت فتزوجها في بيت الميت وعلى فراشه، فولدت منه أولاداً وصار هو زوجها، فنعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.

قيـــل

مات رجل في البادية وخلف ابناً صبيًّا وكان عند عمه أخي الميت، وكان للميت صديق جار لهم اسمه اسمير فعطف على الصبي وتلطف به، وكان هناك صديق آخر للميت أيضاً فأتاهم يزور أهل صديقه، فقاموا بإكرامه، ثم ذهبوا يتقهوون عند الجار هذا ثم الجار ذاك. فهذا الزاير رأى

الصبي يتبع الرجل صديق أبيه اسمير ولا يتبع عمه. فتمثل بشعر منه قوله:

تـليْ اسـمير وتـرك حِجِـر عمـه　　　لِقِيْ اللَّيان ومن لقى اللِّين يَتْلِيه

وتقول المرأة في مرغوبها من الرجال:

ودِّي بسمح البال لو ما معه مال　　　لعـل كثـر المـال للـوارثين

غيرة الرجل على زوجته

قـال:

يـا ام العيـون المظاليـل　　　أنـت هـوى الكيـف وامـرادي

وإن كـان ثبـت كـل مـا قيـل　　　كِتِّـي وانـا اسـنّد الـوادي

يكفيـكِ ميلـكِ وانـا مِـيلي　　　والكـل منـا مـا هـو غـادي

فقد عزفت نفسه عنها وإن كانت جميلة فأخبرها بفراقه إياها إن ثبت ما قيل عنها من علوم الردى.

قوله: غادي: أي ضائع بلغة بعض العامة. انتهى.

* * *

أزمات الأحوال في القديم

كان رجل هنا في إحدى القرى هو وزوجته، وكان جمّالاً صاحب جمل، يحمل عليه من حطب البر (الشجر) ويبيعه في البلد لطلب لقمة العيش، وأتاهم سيل (دِيم) استمر عليهم عدة أيام، فنفد ما عندهم من الطعام، فقالت له زوجته: إن شاء الله تذهب الصباح تأتي بحطب تبيعه تشتري لنا طعاماً لأن طعامنا نفد ولا نريد نطق أبواب الناس نستقرض منهم. فقال: «الدنيا برد ورطوبة» فقالت: أنا أذهب معك أساعدك. فقال: لا أريدك تخرجين للبر أخشى عليك من البرد، ولكن قومي قبل الفجر أصلحي لي القهوة وشدي على الناقة عدة الحطب وسوف يسهل الله الأمور. فشرب القهوة فلما صلى الفجر ركب ناقته وذهب للبر. وفي أثناء الطريق أبصر أمامه في جانب الطريق أناساً من الحرامية قد كَمَنوا وراء شجرة كبيرة يريدون ينهبون مَن يمرّ مع الجادة، وإذا هم أربعة رجال على ناقتين. فلما أبصرهم نزل عن ناقته وأرجعها وجعل يضربها يركضها راجعاً بسرعة. فلحقوه على أرجلهم فلم يدركوه فرجعوا وركبوا الناقتين، فتقدم أحدهم على ناقته فأدركه وقد قرب من القرية فجعل يتناوشه يضربه بالعصا ليوقفه، وجعل الرجل الحضري يتجلد ويصبر رجاء أن يطلع على القرية فيصيح للجماعة فيرجع الحرامي. وإذا رجلين من الجماعة قد خرجوا يتطلبون الصيد ومعهما بندقية فتيل، فلما رأوا صاحبهم ملحوق مرهق، نادوه: يا محمد ـ يا محمد وش هذا ـ وش هذا؟ ففرح بهم فناداهم: اذبحوا القوم ـ اذبحوا القوم ـ فرموا ناقة الحرامي فأصابوها في

يدها فسقطت على وجهها وسقط هو فقام وهرب لقى أصحابه فهربوا.

فأتى الرجلان إلى محمد ونحروا الناقة. ثم أخذوا منها كل واحد عضواً يداً أو رجلاً وحملوه لبيوتهم.. ثم أخبروا الجماعة بها فاجتمعوا إليها وقطعوها سهاماً واقتسموها كل بحسبه فالعائلة الكثيرة سهم والقليلة نصف سهم. وهذه عادة معروفة وهي المساهمة كل بحسبه. انتهى.

* * *

الخصـــب

كانوا في إحدى القرى، وكانوا في سنة خصب: ربيع وفقع وجراد، فخرجت امرأتان تريدان حَشْ العشب، وأخذت كل واحدة معها كيس فذهبن غير بعيد فوجدن موضع عشب جيد وفيه فقع وفيه جراد متراكب وهو أحسن أنواعه، يلتقط التقاطاً، فخلعت كل واحدة أحد ثوبيها فملأته جراداً وملأت الكيس فقعاً.

ثم حَشَّنْ عُشباً ونشرنه ييبس ويرجعن عليه بعد، فحملن الجراد والفقع وأتين. وخرجنا نحن مع الوالد بالعزيب وقت الربيع ومعنا شاة واحدة نحلبها نشرب منها لبناً (نزيده ماءً ونطعم أحد الجيران واليوم الثاني نطعم الجيران الآخرين والحمد الله. انتهى.

اســـتدراك

سبق أن ذكرنا في أحد المجلدات السابقة في معنى قوله تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ﴾[1]، أي مثل السماوات والأرض. وهذا خطأ في المعنى!

فالمعنى: أن الله قادر على أن يبعث الناس يوم القيامة بأبدان مثل أبدانهم ينشؤهم بقدرته تعالى، فالضمير عائد على البشر، هذا تفسير ابن كثير. انتهـــى.

(١) سورة يس، الآية: ٨١.

فائـــدة

كان رجل هنا صاحب دكان بياعاً، فأتاه رجل وقال:إني أطلب أباك المتوفى ديناً مقداره كذا وكذا. فقال الولد أنا ما عندي فلوس أسدد لك الآن ولكن خذ من هذا الدكان حاجاتك حتى تستوفي حقك، فأتى الرجل بسيارة وحمّل من الدكان أكياساً وغيرها بجميع حقه دفعة واحدة وذهب، فلما نام صاحب الدكان رأى أباه المتوفى وإذا خاطره غير طيب، فلما انتبه اغتم لذلك، فأتى يسأل شيخنا (عبدالله بن محمد بن حميد) رحمهم الله. عن هذه الرؤيا؟ فقال الشيخ: «ما شاء الله، يا علي أنت أوفيت عن أبيك ديناً ولم تقل لصاحبه ثَبِّتْ، ترى قَوْلَتْ ثَبِّت تبرئ الحي ولكنها ما تبرئ الميت» فحمد الله الرجل وزال غمه، وهذا يدل على أن الدَّين أو بعضه غير صحيح فأحسن به الميت. والله أعلم. انتهـــى.

* * *

من كرامات أولياء الله

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت ويبتلي الله بعض الخلق بالنعم

كان في البلد هنا في بعض الأزمنة حاكم ظالم ولا يدين بولاء العلماء الصالحين، فأجلا الشيخ عالم البلد إلى إحدى القرى النائية لمولاته للحاكم الأول وعزل أئمة المساجد وأبدلهم بغيرهم من جماعة المسجد، وأتى بقاضٍ من إحدى البلدان القريبة.

وكان يوجد في البلد من طلبة العلم مَن يذكّرون الناس ويعلمونهم أمور دينهم، فأرسل أمير البلد خدامه فجمعوهم وأتوا بهم إلى الشيخ القاضي وقالوا له: يا شيخ، هؤلاء المغاليث جبناهم ويقول الأمير: احكم فيهم (والشيخ لا يحب أن يتدخل في محاربة أهل الدين ولا يستطيع صرف الأمير عنهم) فقال للخدام: إنا اليوم عندنا زواج ومشغولين ولكن اذهبوا بهم للأمير فذهبوا بهم وأدخلوهم عليه وأوقفوهم أمامه، والإخوان يقولون: (حسبنا الله ونعم الوكيل) ويدعون الله أن يكفيهم شره. فجعل الأمير يتهددهم ويتوعدهم ويعدد عليهم ما ينقمه عليهم «أنت يا فلان على المنبر نيني نيني، وأنت يا فلان معك محفظتك تَدُور على الناس تقرقر عليهم، وأنت يا فلان قد عزلناك عن الإمامة في المسجد ثم تقدم تيمم بهم، وأنت يا فلان ـ وأنت يا فلان». ثم سكت نحو ربع ساعة كأنه أتاه أمر من الله ضغط عليه والله أعلم. ثم رفع وجهه إليهم وقال: «تسمعون أشهد بالله أن الذي يتعرضكم ظالم نفسه ولكن اذهبوا كلٌ على عمله ما دامي في هذا المسند فلا أحد يتعرضكم»

فخرجوا في عز وأمان ويحمدون الله على ذلك. أخبرني بذلك ابن أحدهم.

فسبحان مالك أزمة الأمور يعز من يشاء ويذل من يشاء وله الحكمة في ذلك.

يا من أجبت دعاء نوح فانتصر ... وحملته في فلكك المشحون
يا من أحال النار حول خليله ... رَوْحاً وريحاناً بقولك كوني
يا من أمرت الحوت يلفظ يونساً ... وسترته بشجيرة اليقطيني
يا رب إننا مثله في كربة ... فارحم عباداً كلهم ذو النون

* * *

ومن صفة سيرهم في الحج على الإبل

أخبرنا من قد حج بصحبة الشيخ محمد الحسين رحمه الله يتعلمون منه أحكام الدين والحج. يقول: إذا صلوا الفجر حملوا وركبوا وساروا، والشيخ يقرأ القرآن من حفظه ويجهز به والجماعة يلتفون حوله يستمعوه وهم سائرين، فإذا صار الضحى المبكر نزلوا وأوقدوا النيران وعملوا قهوة فأفطروا مع القهوة بالتمر السكري الناشف المرعص أو نحوه وأقراص الكليجا وهذا هو غداهم. وقد تركوا الإبل ترعى وعليها الأحمال إن كانت الأرض فيها رعي، وإلا أناخوها تستريح. ثم ركبوا وساروا خلف الشيخ وحوله حتى بعد صلاة العصر فنزلوا في المكان الذي فيه رعي للإبل وأنزلوا الأحمال عنها حتى الشداد ينزلونه لأجل يبرد ظهر البعير. ثم توضئوا بقليل من الماء أو تيمموا والشيخ ينتظرهم يحب الأناة حتى يتكاملون فيصلي بهم الظهر والعصر جمعاً وقصراً، وأطلقوا الإبل ترعى حولهم ومعها بعضهم يرعونها ويحرسونها عن الحرامية. ثم أوقدوا النيران وعملوا قهوة وعشاء، فإذا غربت الشمس صلوا المغرب والعشاء بوضوئهم جمع تقديم، فإذا ناموا بقي بعضهم يحرسهم عن الحرامية.

وبعض الأيام يحملون ويسيرون قبل الفجر، فيُصلون التهجد وهم على ظهور الإبل إماءً سائرين أينما توجهوا، فإذا أصبحوا وأسفروا نزلوا وصلوا الفجر ثم ساروا وهكذا.

وكانوا يحملون معهم علفاً للإبل من العلف النَّفَّاع خفيف المَحْمَل

وهو نوى التمر يسمى (عبس ـ ويسمى فَصَم) يُكسَّر ويجرش ويخلط معه من الخَبَط وهو ورق شجر الطلح مسحوقاً، ثم كل ليلة يعجنون منه قليلاً يأخذون لُقماً يدخلونها في فم البعير لقمة لقمة فيأكله، ينعشه وينشطه يسمونه علوق.

وإذا كانت الأرض ربيعاً فلا تحتاج الإبل تنفيعاً فهي ترعى من الأرض من الشجر والعشب. فيضعون علوقهم أثناء الطريق عند أهل ضريه يودعونه عندهم حتى يرجعوا من الحج يتخففون منه. وكان أهل ضريه جيدين لمن يمر بهم من الحجاج وغيرهم، وعندهم استعداد لجميع طلباتهم. انتهى.

* * *

تواصل أهل الدِّين الحقيقي

كان هنا رجل اسمه علي المقبل صاحب تجارة وكان في صحبة أهل الدين وطلبة العلم يجلس معهم ويزورهم ويعطي محتاجهم، وكان يحضر حلقة القراءة على الشيخ ابن سليم بعد صلاة الفجر، فإذا انتهت القراءة بعد طلوع الشمس وخرج الشيخ لبيته ومن يريد يتبعه بقي بعض الطلبة يتذاكرون وعلي المقبل معهم وبعض الأحيان يذهب بهم لبيته للقهوة والفطور.

وذات يوم لما خرج الشيخ قال علي المقبل: ما رأيكم يا الإخوان لو نزور أخانا فلاناً في رياض الخبرا فإنه يذكر أنه مريض؟ فقالوا: نعم إذا أنك رأيت ذلك. فقال الموعد نصلي الفجر مع الشعيبي بالأُمَّيْه (تصغير ماء) بالبصر آخر منطقة الأرياف الغربية إن شاء الله. فصلوا الفجر مع الشعيبي وسلموا عليه وقال: تفضلوا للقهوة، فقال المقبل: إنا نريد نذهب نزور أخانا فلاناً في رياض الخبر أو قال (السحابين) ولكن أنت وَلِّمْ لنا العشاء إذا رجعنا إن شاء الله، فقال: نعم أحسنتم. فساروا في طريقهم على أرجلهم ومَرُّوا على ابن سلامة بالخبرا فسلموا عليه ففرح بهم وقال: تفضلوا أنتم اليوم عندنا، فقال المقبل: إنا هذا طريقنا ولكن أنت وَلِّـم لنا الغدا عندك إذا رجعنا إن شاء الله.

فساروا في طريقهم حتى وصلوا أخاهم المزور فوجدوه قد برأ شيئاً فسلموا عليه فقال لهم: تفضلوا بالمجلس فقال المقبل: حنا غدانا عند ابن سلامة بالخبرا إن شاء الله ولكن تعال نجلس بالفضاء قليلاً نشوفك قبل نرجع. فجلسوا يتحدثون نحو ساعة ثم ودَّعوه ورجعوا وتغدوا عند ابن سلامة ثم ودَّعوه ورجعوا وتعشوا عند الشعيبي ورجعوا لبريدة فلما قربوا من البلد قال المقبل: لا داعي أن نطرق أهلنا أثناء الليل دعونا ننام هنا وترى عشاكم بكرى عندي إن شاء الله بعد المغرب فقالوا: نعم أخلف الله عليك. فناموا هنا ثم قاموا آخر الليل وحداناً كل ذهب يصلي التهجد في مسجده، فصلى المقبل الفجر بالجامع مع الشيخ على عادته فلما انتهت القراءة وقام الشيخ سلم عليه المقبل وأخبره أنهم قد زاروا الأوهيبي أو قالوا العريني وبشره أنه طيب وأنه يسلم عليه ففرح الشيخ ودعا له بخير. وقال المقبل للشيخ إن أخوياي سوف يتعشون عندي الليلة بعد المغرب إن شاء الله ونحب أنك تشرفنا تعشى معنا بارك الله فيك فقال الشيخ نعم إن شاء الله فتعشوا عنده على ذبيحة من أجل الشيخ.

وفي يوم آخر قال المقبل للإخوان: ألا ترون أن نزور أخانا فلاناً (هو فلاح بالعيكرشه شرقي بريدة فقير) فقالوا: نعم فخرجوا فلما وصلوه وإذا بعارينه (معاويد السواني) هزلانة وقد ذبح واحدة تلك الساعة والأخرى حولها واقفة، فرحب بهم وفرح وقال: تفضلوا للقهوة، فقالوا: ما نريد قهوة ولكن تعال نجلس هنا نتحدث قليلاً، فجلسوا وتحدثوا ثم رجعوا.

فقال المقبل لأخوياه: ما رأيكم لو ساعدنا أخانا هذا الذي ماتت بعارينه كما رأيتم؟ فقالوا: رأيك، فقال: أنا عليّ ناقة وزنبيل تمر وأنتم عليكم ناقة وكيس عيش (قمح) فقاولوا: نعم، فلما دخلوا البلد استدعى المقبل جمّالاً يحمل على جمله بالأجرة وحمّله حمل طعام (قمح وتمر) وأرسله إليه. ثم عمد المقبل إلى سوق الإبل واشترى ناقتين وأرسلهن إليه. غفر الله له ولوالديه وأكثر من المسلمين أمثاله. انتهى.

* * *

المَلـول ما ينجـح

وهذا أمر مشاهد أن كل إنسان يَمَل مما هو فيه من عمل أو دراسة أو غيره، فإنه لا ينجح في أموره، فلا يتمكن في أحواله إلا من يصمد ولا يحدِّث نفسه بالملل والترك.

كان أحد ملوك العرب لما خرج للدوام في الصباح وإذا قطة قد قعدت في مكان وجمعت جسمها وسلهمت بعينيها وهدّأت نَفَسَها، فمضى هو لعمله فلما رجع من العمل آخر الضحى وإذا هي في مكانها على هيئتها، فلما رجع من العمل قبل المغرب وإذا هي في مكانها على هيئتها؛ فوقف ينظرها متعجباً من صبرها وصمودها طول اليوم ولماذا؟ فوثبت وثبة جيدة وهو ينظر فمسكت فأرة حين ظهرت من مخبأها قد رأتها في الصباح حين دخلت فيه فبقيت هكذا تنتظر خروجها حتى خرجت فلم تمل وتترك بل صبرت حتى أدركت. فجمع الملك أولاده وأخبرهم بفعل هذه القطة ونجاحها فيه. فأمرهم بالثبات والصمود في سائر الأمور وحذرهم الملل.

كذلك سيبويه إمام النحو قيل: قد وجهته أمه في تعلم النحو فمضت عليه ست سنوات لم ينفتح له باب النحو فسئم وكسل وداخله اليأس من معرفته، فجلس ذات يوم كئيباً حزيناً على إفلاسه من مطلوبه، وإذا حوله جرف (هو أرض مرتفعة قليلاً) وإذا قِعْسٌ (هو نوع من كبار النمل) ومعه نواة تمرة يسحبها ذاهباً بها لبيته وصار طريقه على هذا الجرف فسحبها من فوقه فلما ارتفع بها قليلاً عجز فانفلتت منه ورجعت إلى تحت فرجع

إليها يتطلبها فوجدها فسحبها من فوقه وشد عزمه أكثر من الأول فارتفع بها أكثر من الأول فعجز وانفلتت منه فنزل وسحبها وشد عزمه أكثر من الأول فارتفع بها أكثر من الأول فعجز وانفلتت منه فنزل وسحبها وشد عزمه فانفلتت منه. فعل هذا سبع مرات وكل مرة يشد عزمه أكثر من الأول وفي السابعة جمع كل جهده فإذا هو يقذفها ويتدحدر هو وإياها خلف الجرف فنجح في مهمته، هذا وسيبويه ينظره فتعجب من صمود هذه الدابة الضعيفة في طمعها في تحصيلها هذا الطعم الكبير ونجاحها فيه؛ فانبعث عزمه من نجديد فرجع يدرس النحو في رجاء وصمود، فما مضت عليه سنة حتى انفتح له باب النحو فدخل وصار إماماً فيه، كما هو معلوم.

والقصص في مثل هذا وأحوال الناس كثيرة معلومة. انتهى.

* * *

مرثيـة للعلـم وأهلـه

الشيخ محمد العبدالله التويجري قاضي جازان يرثي العلم وأهله ويدعو للإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود حيث عزز العلماء وأحكام الشريعة ـ رحمه الله ـ قال الناظم:

إلى الله أشـكو مـادهىٰ مـن مهمـة	وما حل بـالإخوان مـن كـل محنةِ
على فقد أهل العلـم مـن كـل جانب	لأنهمـــو وُرَّاث خـــتم النبـــوةِ
ففـي مـوتهم فَقْـدٌ لعلـم إلهنـا	وغيبــتهم عنــا أطــم الرّزيــة
وموتهمـو نقـص عـلى الأرض ظـاهر	ومـصدافة مـن قـول رب البريـة
وقــد همَّنــي أمــر فظيــع رأيتــه	بنفسي وإخـواني مـن الفهـم قِلَّـة
ومـا هـذه الأمـراض في قلـب واحـد	ولكنهـا عمّـت كثـير الخليقـة
لقـد صـار إقبـال الـوراءِ بـأسرهم	وهمـتهم في طَلْـب دنيـاً دنيـة
يوالـون فيهـا بـل يعـادون عنـدها	وذا كلـه جهـل لـديهم وحُمْقـة
وقد قيـل إن العلـم يهتـف بالعمـل	فـإن صـح وإلا فـالعلم عنـه بغربـة
فـإن كـان إخـاني عـلى مثـل نيّـة	فـما ثَـمَّ تحـصيل ولا ثَـمَّ هِـمَّة
لأني جعلـت الـدِّين للـدنيا بازيـاً	أصـيد بـه منهـا عظـام الرَّميـة
فيـا راكبـاً بلـغ سـلامي مـشايخي	ذوى الحلـم والإنـصاف مـع حـسن نيـة
أريـد بهـم آل سـليم ذوي التقـى	وذو الـصبر والإخـلاص عنـد البليـة
وســلهم دواءً شــافياً لــصدورنا	فقـد أعيـت الأمـراض جمـع الأطبّـة
فــإنهم قــد نُفِّـروا مـن بلادهـم	ولـم يجزعـوا بـل سـلموا للأدلـة

فَـدَال إلـه العـرش دولـة حزبـه فكـانوا أعـزاء بعـد طـول المذلـة
فما افتخروا واستنصروا لنفوسـهم ولكـنهم يعفـون عـن كـل سَـيِّة
ومـا عفـوهم عجـز ولكـن بقـدرة وهـذا لعمـري هـدي خـير البريـة
وما كنت مدّاحاً لهم في وجوههم ولم يرتضوا مـدحاً ولـو مـن أحبـه
ولكن ذكرت ما مضى من فعالهم وإحـسانهم للـضد طُـرّا برأفـة
فيـارب متعنـا بهـم في زماننـا ومـن بعـدنا للمـسلمين البقيـة
لأنهـم رُهبـان ليـل إذا دجـى وفي الناشـئة قوّامـه بعـد هجعـة
وأحبارنـا في وقتنـا وزماننـا وديـدانهم درس العلـوم العليَّـة
ولـم يـسئموها لـيلَهم ونهـارَهم مُـديمون فيهـا بالعـشي وغُـدْوة
ويـا رب متعنـا بإمامنـا الـذي بـه افتخـرت نجـد عـلى كـل بلـدة
إمام الهدى عبدالعزيز أخي الندى مُـذيق العـدا كاسـات سـم المنيـة
وخـتم كلامـي بالـصلاة مـسلماً على الصادق المصدوق في كل لفظة
كذا الآل والأصحاب من كل تـابع لمنـاهجهم يقفـو طريـق المحبـة

نقلناها من مخطوطة بخط الشيخ في ١٥ ذي القعدة عام ١٣٤٤هـ رحمه الله.

وهاك إيضاح بعض معانيها:

قوله: «فإنهم قد نُفّروا عن بلادهم» يعني عالم بريدة محمد آل سليم قبل حكم الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود حيث تولى على البلاد حاكم لا يدين بولاء العلماء الصالحين فأجلا ابن سليم إلى النبهانية فبقي هناك أكثر من سبع سنين حتى أدال الله حكومة عبدالعزيز آل سعود

فأتى به وولاه أمور القصيم الدينية لأنه عيبة نصح للمسلمين عامة ولآل سعود خاصة حتى توفاه الله وبقي تلامذته وأثر إصلاحاته حتى الآن.

قوله: «قُوّام ليلِهِ بعد هجعة» كان العلماء لا يعدون الرجل عالماً ولا يعتدُّون بعلمه حتى يعرفوه بمسألتين: أن يحفظ القرآن حفظاً عن ظهر قلب فيداوم على تلاوته، وأن يقوم به بالتهجد آخر الليل بعد هجعة.

قوله: «جعلت الدِّين بازياً أصيد به» البازي هو الصقر يصاد به الصيد. والمعنى أنهم كانوا يتورعون عن الأكل من بيت المال تورعاً لا تحريماً لاسيما في الأعمال الدِّينية فإن أخذوا فبقدر العمل.

وحيث كان قاضياً في بلاد جازان فمرض في آخر حياته مرضاً مزمناً فيأتون إليه الصباح يركبونه على حمار يذهب لمجلس القضىٰ لأنه ليس ثَمَّ قاضي غيره.

وذات يوم حين أراد يركب قالت له زوجته: «أنت اليوم تعبان، لو أنك استرحت اليوم»، فقال: «وش انسوِّي بخمسة ابن سعود» يظهر أن راتبه مائة وخمسون ريالاً في الشهر وحصة اليوم خمسة ريالات، فهو يلزم نفسه بالعمل لأجل يستحقها. رحمه الله. انتهى.

* * *

تابع مناقب الشيخ/ صالح بن أحمد الخريصي رحمه الله

وفي وقت اعتداء صاحب العراق على المسلمين فاستدعوا دولة أمريكا لمكافحته فسئل الشيخ صالح الخريصي عن هذا الفعل؟

فقال: «فِتَنٌ تُدْفَع بفتن واسأل ربك العافية».

إحساسه بالمنكر

حيث كان تمريضه في بيته فلم ينقل لغرفة الإنعاش فاستعان بعض أهله على بعض أحواله في تمريضه فأُتي لهم بامرأة عاملة خارجية أحضروها أول الليل وجعلوها في غرفة في ناحية البيت لم تباشر عملها ولم تقرب منه حتى الآن ولكنه أحس بدخولها البيت وهي ليس معها محرم لها، وهو في غشوة المرض فانتبه من غشوته مُزْهَقاً يقول: ما هذا الذي دخل علينا: عندكم القوم عندكم الحرامية. فقالوا: ما هنا أحد ولا دخل علينا أحد، فهدأ شيئاً. ثم فزع فهدّؤوه فسكت شيئاً. ثم فزع مثل فعله الأول. فما زالوا ليلهم كذلك حتى الصباح فأخرجوا المرأة العاملة وأرجعوها لصاحبها فهدأ وطمأنّ ونام.

أخبرني بذلك أحد تلاميذه وكان مضارعاً لهم.

سـخائـه

سُئل أحد طلابه وكان رجلاً تقياً نقياً حسبه الله، وكان صدوقاً صريحاً وكان فقيراً. قيل له: «لماذا أنتن لا تقرأ إلا على الشيخ الخريصي؟ فلو تقرأ على غيره أيضاً يحصل لك زيادة فائدة! فقال: إن الشيخ الخريصي عنده فائدة ومائدة، وغيره عنده فائدة ولكن ما عنده مائدة ونحن محتاجون للمائدة. انتهى.

* * *

التلذذ بعبادة الله تعالى نسأل الله الكريم من فضله

هنا رجل صاحب تجارة وفضل، ويتلذذ بعبادة الله تعالى، فيتوضا في بيته ويخرج للمسجد قبل الوقت. وقد استدان منه رجل دَيْناً فلما حل الدَّين بعد سنة وإذا ليس عنده شيء يسدد به الدين، فذهب لتاجر آخر ليستدين منه يسدد لفلان دينه. فقال له هذا: «لا يصلح أن تأخذ ديناً على دين، ومعزبك صاحب فضل وإحسان وسوف أدلك على أمر يعذرك منه ولا يضره إن شاء الله لأنك معسر «إذا قرب وقت الصلاة فأنت تقف له بطريقه للمسجد، فإذا خرج يريد المسجد فأنت تمشي تلاقيه تسلم عليه وتقول هذه الدراهم أتيت بها يا عم خذها جزاك الله خيراً.

فإنه سوف يمضي للمسجد ويتركك لأنه في حالة جمعيت قلبه على الله أحب إليه من الدنيا. ثم تعيد الكلام عليه مرة ثانية وثالثة ثم تقول: فأنا إذا رجعت بها الآن تفرقت الدراهم من يدي ويمكن أني ما أحصل لك دراهم إلا بعد سنة».

ففعل الرجل ذلك فمضى المعزب للمسجد ولم يلتفت له ودراهِمِه. فرجع الرجل بعذر منه بزعمه، وبعد سنة يسر الله له رزقاً فأتى إليه غير وقت الصلاة فسدد له حقه وشكره ودعا له بخير، فرضي عليه المعزب ودعا له بخير كذلك، والحمد لله رب العالمين، وهذا كما قال تعالى:

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾[1]، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم. انتهى.

* * *

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

لا تزاعم من إذا قال فعل: يعني من هو أقوى منك

ذهب رجل شاب إلى بلد هناك يعمل مع الناس يتطلب أسباب المعيشة فلما رجع إلى أهله يمشي في البر على رجليه، فاعترض له في طريقه شعيب (واد) يمشي ماء من السيل، وأراد أن يخوضه يعبر في طريقه. وإذا إلى جانبه رجل على فرس ويريد يعبر الوادي ليذهب لما بعده ولكن الحصان لم يجسر على خوض الماء فوقف. فقال صاحبه للرجل الرِّجْلِي: «امسك زمام الحصان يا رجل تقوده تمشي أمامه تدربه يخوض الماء لأعبر في طريقي» فأبى الرجل ذلك بناءً على أنه ليس له عليه فضل ولا أمر! فرفع صاحب الحصان عليه الرمح أو السوط يلزمه بذلك. ثم ذكر الرجل أن قد سبق أنه قد اشترى فائدة بريال وهي قولهم: «لا تزاعم مَن إذا قال فعل» فأذعن لأمر الرجل وأمسك رشمة الحصان واقتاده به يمشي أمامه يخوض الماء وصاحب الفرس على ظهرها. فلما توسط الشعيب زحلق الحصان واختل توازنه فسقط صاحبه من على ظهره في الماء وغرق وذهب به الشعيب. وزمام الحصان بيد الرجل القائد. فلما خرج من الشعيب سالماً والحصان في يده ليس له أحد غيره فركبه وذهب به لأهله وتموله مقابل اعتداء صاحبه عليه. انتهى.

* * *

الفطرة الصحيحة الطيبة

لَـمّا رجع النبي ﷺ من الغزو وطلع على المدينة المنورة فرحوا به، فقامت الجواري يرتجزن قولهن:

طلـــع البـــدر علينـــا ... مـــن ثُـنَـيّـــات الـــوداعي

وجـــب الـــشكر علينـــا ... مـــا دعـــا الله داعـــي

يـــا ذا المبعـــوث فينـــا ... جئـــت بـــالأمر المطـــاعي

وأقبل وفد من جهة اليمن إلى النبي ﷺ فجعلوا يرتجزون في طريقهم فرحاً به و محبة له قولهم:

غـــداً نَلْقـــى الأحِبَّـــهْ ... محمـــداً وحِزبـــه

غـــداً نلقـــى الأحبـــه ... محمـــداً وحِزبـــه

وقال أبو مُضْهِر:

وإن تُعْجبُ الدنيا رجالاً فإنها ... متـاع قليـل والـزوال قريـب

وقال غيره:

يـا عاشـق الـدنيا تأهـب للـذي ... قـد نالـه العـشاق كـل زمـان

وقال عامر بن ربيعة رضي الله عنه:

نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ﴾[1].

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١.

وقيل:

والمـرء يفـرح بالأيـام يقطعهـا   وكل يوم يمضي يدني من الأجـل

وقال شاعر:

لكـل شيء إذا مـا تـم نقـصان   فـلا يُغَـرّ بطيـب العـيش إنـسان
هـي الـدنيا كـما شـاهدتها دِوَلُ   مـن سرّه زمـن سـائته أزمـان

كذلك أقبل وفد من جهة اليمن وفيهم شاب قال للنبي ﷺ: يا رسول الله، أنا حاجتي غير حاجة أصحابي، فقال: «**ما هي حاجتك؟**» فقال: «أن تدعو الله أن يغفر لي ويرحمني ويجعل غِناي في قلبي»، فقال النبي ﷺ: «**اللهم اغفر له وارحمه واجعل غناه في قلبه**». ثم إن النبي ﷺ سأل عنه جماعته في حجة الوداع؟ فذكروا غِنًا قلبه عن الدنيا، فقال النبي ﷺ: «**إني لأرجو له أن يموت جميعاً**» فقالوا: وهل يموت الرجل غير جميع يا رسول الله؟ قال: «**نعم، إذا كثرت أشغاله بالدنيا تفرق قلبه في همومها فلا يبالي الله في أيّ أوديتها هلك**»، أو كما قال ﷺ. انتهى من مختصر السيرة (وفد تجيب).

قيل:

إنَّ المكـارمَ أخـلاقٌ مطهَّـرةٌ   فالعقـلُ أوَّلهـا والـدينُ ثانيهـا
والعلـمُ ثالثهـا والحلـمُ رابعهـا   والجودُ خامسها والعُرف ساديها
والـبرُّ سـابعها والـصبرُ ثامنهـا   والـشكرُ تاسـعها واللّـينُ عاشـيها
والـنفسُ تعلـمُ أنيِّ لا أصـدِّقها   ولـستُ أرشُـدُ إلا حـينَ أعـصيها
والعينُ تعلمُ في عينَـيْ محدِّثها   مَنْ كانَ مِنْ حزبها أو مِن أعاديها

انتهـى.

* * *

فضائـــل

قيل:

الرفق يُمنٌ وخير القول اصدقُه   وكثرة المزح مفتاح العداوات

وقال آخر:

العلم كلغيث والأخلاق تربته   إن تفسد الأرض تذهب نعمة المطر

قوله: «إن تفسد الأرض» أي إذا فسدت الأخلاق ذهبت ثمرة العلم.

كذلك قصة حُدَير:

بلغنا أثر أن النبي ﷺ بعث غزواً وجهزهم بطعام ونسى واحداً منهم يقال له حُدَيْر لم يعطه طعاماً، ولِله في ذلك حكمة. فساروا وسار معهم حدير بدون طعام متوكلاً على الله سبحانه، فكانوا يسيرون وحدير متمسك بحقب ناقته من الجوع ويقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، نعم الزاد يا رب. يردد هذا الدعاء والذكر.

ثم إن الله أعلم نبيه أنهم قد نسوا حديراً من الزاد! فألحقه زاداً مع رجل آخر، فقال له: هذا الطعام من النبي، يقول: إننا قد نسينا حديراً من الزاد، فقال حدير: ومن أعلم النبي أنهم قد نسوني؟ فقال الرجل: الله أعلمه، فبكى حدير فرحاً بذكر الله إياه، وقال: يا الله ياللي ما نسيتني اجعلني ما أنساك، أو كما جاء الخبر.

كان أخونا سليمان محباً للخير، متوسط الحال، متوسط العمر، متوسط الفهم؛ فأتى إلى الشيخ محمد الحسين أبا الخيل فاستشاره في

طلب العلم؟ فقال الشيخ: عليك يا سليمان بتلاوة القرآن. فقبل الرجل قول الشيخ؛ فصار كل فراغه يقرأ القرآن. وتلاوة القرآن عبادة لله وحياة للقلب.

كذلك ينبغي العزم والحزم والتمرّن على الخشونة لمفاجأة الأحوال.

.... فإن سلمت فما هي في الحزم من بأس

ومثل ذلك قول الشاعر:

فالليالي من الزمان حبالى [1] مثقلات يلدن كل عجيبة

قال الخلاوي:

يا طول ما وسدت رأسي قناة من خوفٍ يعتاد لين الوسايد

كناية لشد العزم.

(شجاعة نساء بني هلال)

في حالة محاربتهم الزناتي خليفة في بلاد المغرب، وكان شجاعاً قد أعياهم القضى عليه، فقال أحدهم لابنه وقد غاب في رعي الإبل في العزيب قال:

علامِكْ يا ذباب غبت عنها ومثلك نهار الكون ما يغيب

أحذرك ملاقى الزناتي خليفه أبوطاسة وقلبي منه رهيب

فقامت الأم تعاتبه على تخذيله ابنها فقالت:

---

(١) أي قد تحدث فيها مصائب وآلام ومشاكل فكن دائماً مستعدًا لأمر الآخرة.

علامك يا عَوْد إهداني رَدَّيت بابني | عساك من جنان الخلد تخيب
شُفْ يا ابني إن قَصَّرْت دونه | عساك ابتالى السابقات عطيب

لا تنس الموت كما قيل:

يُعمَّرُ واحدٌ فيغُرُّ قوماً | ويُنسى من يموت من الشَّباب

ولمّا ذكر ابن القيم الحث على التمسك بسنة الرسول ﷺ قال:

تمسك بها مَسْك البخيل بماله | وعَضِّ عليها بالنواجِذِ تسلم

إلحـاق:

سبق أن ذكرنا قصة الشاب الذي فشلت رجولته حين تزوج، وقاربت الحال أن تذهب عنه زوجته فَذُكِر له الجزر أكلاً فاستعمله فاستقامت حاله وصلحت حاله مع زوجته، فسمع بقصته شيخنا عبدالله بن محمد بن أحميد، فجعل يتمثل قائلاً:

يا جزر - يا جزر | يا مَن أحيا عرقاً قد اندثر
يا جزر - يا جزر | يا مَن جمع شملاً قد انتشر

وهذاك يمدح من يكرم الضيف ويسند القول إلى ناقته:

عند الجبيلي يطيب الكيف | وأنتِ تَريحين يا اشعيله

كذلك النخوة في الحرب قال:

يا زين يا سمح الذوايب | مازَلْ يوم ما يَكِدِّه
ربعي عطيين الضرايب | بالكون يحمون الأنشدِّه
وإن طَبَّحَوْا خلف الركايب | كم عايل عنهن نرده

فالشاعر بدأ قوله بالغزل عادة الشعراء القدمى ليتسنى له القول.

وقال الراجز:

عِقْلَــــــةٌ بالنَّـــفُــــــود طــــــــافِرٌ جَمَّهـــــــــا
ارحلــــــوا يـــــا هَـــــلِي وانزلــــــوا يَمَّهــــــا

العقلة هي البئر في خَبْت يسمى نقرة بين زبائر النفود، وكان الناس صحراويين، وأكثر معايشهم أعمالاً خارج البلد، من حطب وحَشْ العلف، أو جراد، أو فقع، أو صيد، ورعي المواشي وغيره، ويحتاجون الماء يستقونه من الآبار البرية، فهذا الشاعر يُكَنِّي محبوبته بهذه البئر الطيبة طافرة الماء، الواقعة وسط الفلاة على مطلوبهم، فهو ينخا أهله على تحصيل محبوبته له. انتهى.

* * *

التأديب بالتواضع

كان الأمير مبارك المبيرك أمير منطقة القصيم سابقاً حسن الخلق متواضعاً يحافظ على الصلاة مع الجماعة، يأتي للمسجد في أول الوقت ويساعد أهل الحسبة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان له ابن تفوته صلاة الفجر بعض الأيام، فاتفق الأمير مع الجماعة بأن يعدوا الجماعة بعد صلاة الفجر وأن يعدوه هو الأمير معهم وأن يسكت عن الجواب، ثم يأتون إليه في المجلس وقت العمل وابنه حاضر عنده فيؤنِّبونه على أنهم لم يجدوه حين عدوا الجماعة، وأن يأخذوا شماغه من على رأسه، ثم يؤنِّبون الابن ويأخذون شماغه أسوة أبيه، ففعلوا ذلك بأن أخذوا شماغ الأمير، ثم أنَّبوا ابنه وأخذوا شماغه، وكان التصليع عيب ذاك الوقت؛ فتاب الابن وصار يحافظ على الصلاة مع الجماعة واستقامت حاله، فأنا رأيته في أواخر عمره مستقيم الحال في صحبة الشيخ عبدالله بن عبدان رحمهم الله. انتهى.

* * *

معرفة اختلاف أخلاق الناس فن جيد

كانت المساجد هنا تفرش بالرمل النظيف يصلون عليه، فلما ظهرت صناعة الملابس والفرش وتوفرت من النايلو والبلاستيك صارت المساجد يخرج منها الرمل وتفرش بالمداة. فاختلف أهل مسجد هنا فبعضهم يريد الفراش وبعضهم يريد الرمل وتنازعوا في ذلك، فأُصلح بينهم بأن فرش نصفه، وترك نصفه على طبيعته الرمل، فأنا صليت فيه ورأيته هكذا. فمن موضع الإمام ويمين رمل، ومن موضع الإمام ويسار مفروش.

كذلك فراسة القاضي

تزوج رجل بامرأة ولكن حدث بينهما مشكلة مشتبهة بحيث إذا تجامعا أحدث أحدهما. وأنكر كل واحد منهما أن يكون الحدث منه، فتخاصما إلى القاضي فصيّرهما إلى أحدٍ معتمد بأن يطعم أحدهما من نوع الخبز ويطعم الآخر من نوع الخضار ليعرف نوع الحدث من أيهما فيلزمه القاضي بغرامة تكاليف الزواج. انتهى من كتاب الأذكياء.

* * *

نشرة في علاج جروح السكر

جروح السكر ـ الناسور ـ الدمامل ـ الغرغرينا

المقادير:

واحد كيلو قرنفل ـ فنجال حبة سوداء ـ فنجال كمون ـ نصف فنجال ليمون اسود ـ نصف فنجال قشور رمان ـ فنجال ونصف مُرة ـ فنجال صبره ـ فنجال ونصف حلتيت ـ فنجال توتيان ـ فنجال ملح ـ فنجال خَوّاجَوّا.

الطريقة:

تنظف جميع المقادير المذكورة من الأوساخ والشوائب ثم تطحن طحناً ناعماً جميعها مع بعض.

طريقة العلاج:

ينظف الجرح ويغسل بمطهر ثم يوضع عليه قليل من الدواء المسحوق ويعصب، من مرة إلى ثلاث مرات يومياً.

وهذه المقادير لأجل معلومية تركيب الدواء. أما المريض فيكفيه قليل من ذلك بحسب عمق الجرح وخفته. والأفضل أن تكون المواد النباتية من الإنتاج البلدي لكونه طبيعي.

فنحن قد عرفنا هذا الدواء واستعملناه نحن وغيرنا منذ أكثر من عشرين سنة واستفاد منه أكثر مَن استعمله.

ولا ضرر باستعماله لأنه استعمال خارجي على الجرح فقط لا للأكل. انتهى.

شــؤم الطــلاق

في القديم كان رجل صاحب مزرعة وعنده زوجته، ويتساعدون على أعمال المزرعة وله منها أولاد صغار بنتان وابن، والحال مستقيمة ولكن نزغ الشيطان بينهما؛ لأن الشيطان يحرص على فساد الحال بين الزوجين، فطلقها بالثلاث فبانت منه (لأن عامة علماء نجد كانوا لا يجيزون المراجعة بعد الثلاث مهما كانت الحال)، وكذلك التحليل لا يجوز فلا تحل له إلا بعد زواج صحيح، فانحازت المرأة عنه ومعها أولاده، وبقى هو يعمل في مزرعته وحده، فلا تسأل عما أصابهما بعد شتات الحال.

ويوماً أتت من أهلها فمرت حول مزرعته فرأته و محلها فتجدد جرح قلبها فقعدت وقالت لأولادها: ذاك أبوكم اذهبوا سلموا عليه وأنا أنتظركم هنا، فلما رآهم الأب ضمهم وبكى ثم أعطاهم شيئاً مما عنده من الطعام.

والمرأة انبعثت قريحتها بشيء من الشعر.

وهي لم تكن شاعرة قبلُ ولكن هيّضت من شدة الحزن قالت:

يا عين هِلِّي صافي الدمع هِلِّيه	وإيلا قضىْ الصافي هاتي سِرِيبه
يا عين شوفي زرع خِلِّكِ وراعيه	هــذي ســوانيه وهــذي قَليبــه
مِن قَبْلُ هو خِلِّي إيمالي وماليه	واليــوم حالــت أمــور صــعيبه
أشوفه واغْضِي ما اقدر أحاكيه	إمـــصيبة وَيْ والله امـــصيبه
وغــيره عيّــت الــنفس تبغيــه	واللي نبي عيّا البخت لا يجيبه
يــا الله يــا مبــدي خلقــه وبانيــه	تفرج الْقَلْـبِ بـه جـروح عطيبـه

جَاري العزيز الغالي

جَاري إليكَ نَصيحَتي وعِتابي قَبلَ اللحُودِ وقَبلَ أيّ سؤالِ
إني أراكَ وَقد تَركتَ فَريضَةً وَنسيتَ يَوماً كُلهُ أهوالِ
وَمَضَيتَ في تركِ الصَّلاةِ تَهاوناً وهي الأسَاسُ لأفضَلِ الأعمالِ
فَارجع إلىٰ رَبِ العِبَادِ وَتُب لهُ واسلك طَريقاً لَيسَ فِيهِ ضَلالِ
واجعلْ طريقكَ للمَسَاجِدِ عَامِراً دَربَ المُحِبِ لِرَبهِ المُتعَالِ
إني بِهَذا النُصحِ أبرئُ ذِمَّتي وَأقولُ إنَّكَ في غَدٍ رَحَّالِ
والجارُ في يَومِ الحِسابِ محُاسبٌ عَنْ جَارِهِ إنْ رَأىٰ إهمَالِ
والحقُّ أنطِقهُ بِكلِ صَرَاحَةٍ لا اللومَ رَادِعُني ولا الأوجَالِ
وإبليسُ لا أرضىٰ يحَلُّ بِجَانِبي مُستعمِراً جَاري العَزيزِ الغالِ
قُل لي بربِك هَلْ رَضِيْتَ لأُسرةٍ أنْ تَقْتَدي بِكَ وأنتَ غيرَ مُبَالِ
وَتَعيشُ كالأنعَامِ دونَ عِبَادةٍ وَمَصيرُكَ في النَارِ والأغْلالِ
إنْ كُنتَ لا تَرضَىٰ فَعجِّل مُسرِعاً نَحوَ الإلهِ محُقِقُ الآمَالِ

جارك المخلص المُشفِقُ عليك.

* * *

صحة الجسم بالتعب

قد جربنا ذلك عياناً، فإذا عملنا نشطنا وقوي العزم، وإذا استرحنا كسلنا. وكما يقولون: «مَن خلى المشي خلاه المشي».

كان شاب قد نعّمه أهله وأعفوه من التعب، وينام على فراش وثير، وذات صباح قال لأبيه: إني أرِقت البارحة في منامي، قال: بماذا؟ قال: من أجل حبة قطن في فراشي.

وحيث كانوا يركزون على تنشئت الأولاد على الخشونة وممارسة التعب قام أبوه بتجربته بذلك، فذهب به للبر يمشون وإياه على أرجلهم. فمشوا نهارهم حتى أتاهم الليل، فنزلوا وناموا في أرض خشنة حتى الصباح، سأله ابوه عن نومته الليلة؟ فقال الشاب: «ما عمري نَمت ألذ من نومتي هذه الليلة».

مكارم الأخلاق

خرّج ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق، عن عائشة رضي الله عنها قالت: خلال المكارم العشر، قد تكون في الرجل ولا تكون في أبيه، أو تكون في العبد، ولا تكون في سيده، يقسمها الله لمن أحب:

صدق الحديث، ومدارات الناس، وصلة الرحم، وحفظ الأمانة، والتذمم للجار، وإعطاء السائل، والمكافأة على الصنائع (المعروف)، وَقِرى الضيف، والوفاء بالعهد، ورأسهن كلهن الحياء. انتهى.

الزهــد الحقيقــي

قيــل:

ولا تحشو بطنك من الطعام تسمُّنا　　فجســوم أهــل العلـم غير ســمان

كان أحد الملوك من خلفاء العباسيين له ابن شاب اسمه (علي) فكان يطلع بالنهار في أعلى القصر ينظر حركات الناس يُرَفِّه نفسه. فأبصر رجلاً زبّالاً (وهو الذي يحمل للناس أغراضهم من السوق على رأسه أو على ظهره بالأجرة)، وإذا الرجل يخرج وسط الضحى يمر حول القصر يذهب إلى النهر (الماء) فيشرب ويتوضأ ويصلي ثم يرجع لعمله. فإذا كان الظهر أتى إلى النهر الماء ومعه خبزة فقعد عند الماء وجعل يغمس من الخبزة بالماء يأكل فإذا انتهى توضأ وصلى ثم نام، فإذا قرب العصر توضأ ورجع يصلي مع الجماعة ويعمل.

ثم يأتي المغرب ومعه شيء من الخبز إلى أهله عند النهر، هي أمه عجوز كبيرة وأخته عمياء قد أصلح لهن كوخاً (هو مسكن بسيط) تحت الشجر أسكنهن فيه، فإذا أتى بالخبز جعلوا يغمسونه بالماء ويأكلونه ويكفيهم.

فابن الملك رآه عدة أيام وعرف حاله فرحمه وأراد أن يحسن به ويغنيه عن هذه الحال. فأرسل إليه خادمه ليأتي به بدون إزعاج. فأتاه فقال له: أجب الأمير، فارتاع الرجل وقال: ما لي وللأمير، أنا مالي علاقة

بأحد، فقال له: لاتخف، إنما يريد يسألك عن أحوالك.

فأتى معه فاستقبله الأمير بالفرح والترحيب حتى اطمأن الرجل وذهب روعه. فسأله عن أحواله وعمله؟ فأخبره أنه لا حاجة له بالدنيا وأنه بعمله هذا يريد يأكل من عمل يده ويستغني به عن الناس.

فعرض عليه الأمير أن يسكنهم في بيت ويُغْدِق عليهم بالمصروف ويغنيه عن العمل؟ يريد الإحسان إليهم. فأبى الرجل الزبال وقال: أنا لا أريد إلا الحالة التي أنا فيها. فتركه الأمير وأذن له بالانصراف.

ولكن زهد الرجل وقناعته أحدث لابن الملك اعتباراً بالحياة وزهرتها وأن الإنسان يستطيع يُمَضِّيها بأدنى ميسور من المطعم الحلال (والسلامة لا يعدلها شيء).

فجعل يفكر ويراود نفسه أن يزهد ويفطم نفسه عن زهرة الدنيا. وبعد عدة أيام عزم على الزهد، فأعلم خادمه بأنه سوف يزهد ويذهب ليعيش مع أطراف الناس حيث لا يُعلم مكانه، وأمَرَه أن يكتم أمره ثلاثة أيام ثم يُعلم أباه (الملك).

فانسحب ليلاً وذهب إلى بلد لا يعرف فيها، وغيّر اسمَه وثيابَه فلبس أثواباً خلقة ليحقق الزهد وحتى لا يُعرف. وصار يعمل مع الناس ليأكل من كسب يده ويعبد الله ربه فارغ البال.

وبعد مدة اختار الله له ما عنده والله أعلم. قال تعالى: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ

خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴾(١) فمرض فلما ظن أنه يموت كتب وصيته وأعطاها صاحبه مع خاتمه وقال له: «إن أنا مت فأعطها الملك فلاناً بارك الله فيك».

وهذا كما قيل:

إن لِلـــــه عبــــاد فُطَنـــا   طلقـوا الـدنيا وخـافوا الفتنـا

نظـروا فيهـا فلـما علمـوا   أنهـا ليـست لحـيٍّ وطنـا

جعلوهـا لجُـة واتخـذوا   صـالح الأعـمال فيهـا سُـفُنا

انتهـى.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٨.

إفادة من مختصر السيرة

أورد البيهقي والحاكم عن عقبة بن عامر قال: لما أصبح رسول الله ﷺ في تبوك، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأوثق العُرىٰ كلمة التقوى، وخير المِلل ملة إبراهيم، وخير السُّنن سنة محمد، وأشرف الحديث ذكر الله، وأحسن القَصَص القرآن، وخير الأمور عوارفها، وشر الأمور محدثاتها، وأحسن الهَدْي هدى الأنبياء، وأشرف الموت قتل الشهداء، وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى، وخير الأعمال ما نفع، وخير الهدى ما اتبع، وشر العمى عمى القلب، واليد العُليا خير من اليد السفلى، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى، وشر المعذرة حين يحضر الموت، وشر الندامة يوم القيامة، ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا دبراً، ومنهم من لا يذكر الله إلا هُجْراً، ومن أعظم الخطايا اللسان الكذوب، وخير الغنى غنى النفس، وخير الزاد التقوى، ورأس الحكمة مخافة الله، وخير ما وقر في القلب اليقين، والارتياب من الكفر، والنياحة من عمل الجاهلية، والغلول من حر جهنم، والسكر كي من النار، والشعر من إبليس، والخمر جماع الإثم، وشر المآكل مال اليتيم، والسعيد مَن وُعِظَ بغيره، والشقي من شقى في بطن أمه، وإنما يصير أحدكم إلى موضع أربعة أذرع، والأمر إلى

آخره، وملاك العمل خواتمه وشر الروايا روايا الكذب، وكل ما هو آت قريب، وسباب المسلم فسوق، وقتاله كفر، وأكل لحمه من معصية الله، وحرمة ماله كحرمة دمه، ومن يتأل على الله يكذبه، ومن يَغْفِر يُغْفَر له، ومَن يعف يعف الله عنه، ومَن يكظم الغيظ يأجره الله، ومن يصبر على الرزية يعوضه الله، ومن يبتغ السمعة يسمع الله به، ومن يتصبر يغفر الله له، ومن يعص الله يعذبه. ثم استغفر ثلاثاً. انتهى.

* * *

وَصْفات أدوية شعبية لأمراض مزمنة

ورد إلينا نَشرات في وصفات أدوية شعبية لأمراض مزمنة.

وأكدوا الاستفادة منها بعد تجربتها، والتجربة أكبر برهان، لاسيما في حق بعض المرضى، لأن الأجساد تختلف كما قد يختلف المرض.

(فمرض السكر والضغط والقولون) ذكروا لها (عشبة الأرطة وقشور الرمان)، يسحق ويغلى نحو ربع ساعة، ويؤخذ منه كل يوم كأساً يشرب على الريق، أو نصفه صباحاً ونصفه مساءً، وهي موجودة عند العطّارين، وعندهم تعليماتها. وقد يحتاج بعض الناس إلى تحليتها بقليل من السكر أو العسل.

(أما الربو) فذكروا له ستة أنواع هي:

يَنْسُون فنجال ـ كمّون بلدي ملعقة ـ لبان مُر ملعقة ـ محلب ملعقة ـ نعناع فنجال. تسحق وتغلى ويشرب منه كل يوم نحن ست بيالات. أو نصفها صباحاً ونصفها مساءً. أو حسب تعليمات العطار.

(أما مرض السرطان) فذكرو له:

(العسل الأصلي الجيد، والحبة السوداء البلدي، والثوم البلدي، والمرّه والحلتيتة) لمدة ثلاثة شهور. فهي تسحق ويُسَف منها ملعقة صباحاً وملعقة مساءً ويدفع بالماء أو الحليب. ويمكن تعليماته عند العطار.

وهذه الأدوية الشعبية معروفة تستعمل من قديم لسائر الأمراض ولكن الفرق هنا بالتركيب بعضها مع بعض وتقاديرها والتجربة تفيد النتيجة غالباً. والله الموفق والمعافي سبحانه. انتهى.

استصلاح المرأة زوجها

قيل: وهذه نصيحة أقدمها للمرأة المسلمة وهي أنها يمكن أن تصلح زوجها بما أحل الله لها بكثرة التزين والتجمل له، فلا تقع عينه منها على قبيح، ولا يشم منها إلا أطيب ريح، وبالابتسامة المشرقة، وبالكلمة الطيبة، وحسن العشرة، والمحافظة على مال الزوج، ورعاية الأطفال وحسن العناية بهم، وطاعته إلا في معصية الله، ولكن لو نظرنا إلى مجتمعنا اليوم لوجدنا تناقضاً عجيباً في هذه الأمور، فنجد المرأة تتزين أحسن زينة وتلبس ما لديها من حُلِيّ وتخرج كأنها في يوم زفافها، هذا إذا كانت في حفلة أو زيارة لإحدى صديقاتها، فإذا عادت إلى بيتها غسلت زينتها وخلعت حليها ووضعته مكانه انتظاراً لحفلة أخرى أو زيارة ثانية وزوجها المسكين الذي اشترى لها هذه الثياب وتلك الحلي محروم من التمتع بها فلا يراها في البيت إلا بالأثواب القديمة، وتفوح منها رائحة الطبخ والبصل والثوم.

ولو عقلت المرأة لعلمت أن زوجها أحق بهذه الزينة وهذا التجمل. فإذا خرج زوجكِ إلى العمل سارعي بإنهاء عمل البيت ثم اغتسلي وتزيني وتجملي وانتظريه فإذا حضر من عمله رأى أمامه زوجة جميلة وطعاماً مُعدًّا، وبيتاً نظيفاً، فيزداد لك حبًّا، وبك تمسكاً فهذا لعمرو الله هو صلاح الحال. خاصة إذا نويت بذلك طاعة الله في التجمل للزوج وإعانته على غض بصره عن الحرام؛ لأن الشبعان لا يشتهي الطعام، ولكن يشتهيه ويتلهف عليه مَن حُرِم منه، فاعقلي هذه الكلمات فإنها ثمينة. انتهى.

نكتـــــة

أراد أحدهم أن يستأجر عاملاً يعمل له عملاً ما، وكانوا يقومون للعامل بالأكل، يسمونها (جازه)، فأراد العامل أن يحدد أوقات العمل فقال: ومتى تريدني أعمل؟ فقال الرجل: تعمل الصباح! فقال العامل: الصباح يا الله أتغدّا، فقال الرجل: تعمل العصر، فقال العامل: العصر يا الله أتعشّا، فقال الرجل: تعمل بالقائلة، فقال العامل: شغل القوائل مَهُونة، فقال الرجل: تعمل بالليل، فقال العامل: بالليل ما أنا جُنّي.

(فمتى يعمل إذاً)؟

وكما ذكرنا سابقاً: أن زرّاعاً استأجر عاملاً مغفلاً لعمل السواني، فأراد العامل أن يحدد أوقات العمل بحضرة الجماعة، فقال: «شف يا ولد، وايل تراك أنت ما تنطح بالعمل، باكر تقول: عطّشتوا زرعي - موتّوا زرعي ترانا ما نعمل إلا الليل والنهار بس» فقال المعزب: الشكوى لله يكفينا عملكم الليل والنهار. انتهى.

توفى أخونا (سلامة الخضير) فرؤي في المنام، فقيل له: كيف حالك يا أبا عبدالله؟ فقال: «أنا بخير، أنا أقول: لا إله إلا الله - لا إله إلا الله».

وصدق رحمه الله، فهو دائماً يقول: لا إله إلا الله في حياته مع قيامه بواجبات الدين.

وروى ابن أبي حاتم عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم**» (يعني القائمين بحقوقها من واجبات الدين) انتهى.

علاج السحر والعين: المشروع في الإسلام فيما بلغنا

قد ذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره سورة يونس قال: روى ابن أبي حاتم عن ليث بن سليم قال: بلغني أن هؤلاء الآيات شفاء من السحر بإذن الله تعالى، تقرأ في إناء فيه ماء فيصب على رأس المسحور من سورة يونس: ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ الآيتان: (٨١، ٨٢).

والآيات (١١٧-١١٩) في سورة الأعراف: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴾.

والآية: (٩٦) طه: ﴿وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾.

والآية: (٤٥) من سورة الشعراء: ﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾.

قال: وروى القرطبي عن وهب قال: يؤخذ سبع ورقات من سدر فتدق بين حجرين ويصب عليها ماء ويقرأ فيه آية الكرسي، فيشرب منه المصاب ثلاث حَسَوات ويغتسل بباقيه، فإنه جيد للرجل الذي يؤخذ عن امرأته.

وقال ابن كثير أيضاً: أنفع ما يستعمل لإذهاب السحر هو ما أنزل الله على رسوله لإذهاب السحر: وهو قراءة المعوذتين: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾.

قال شيخنا رحمه الله: ويقرأ فيه الدعاء عدة مرات، يعني مع ما تقدم: «**ربنا الله الذي في السماء تقدَّس اسمك، أمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء اجعل رحمتك في الأرض، اغفر لنا حوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين الطاهرين أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفاءك على هذا الوجع**» فيبرأ.

فنحن قد جربنا هذا نافعاً بإذن الله تعالى. انتهى.

* * *

لا يغرنَّك طول الأمل

اذكر الموت دائماً واستعد. كما قيل:

يُعمّر واحد فيغرُّ قوماً ويُنسى من يموت من الشباب

ولمّا ذكر ابن القيم الحث على التمسك بسنة الرسول ﷺ قال:

تمسك بها مَسْكَ البخيل بماله وعَض عليها بالنواجذ تسلم

وقيل:

والمرء يفرح بالأيام يقطعها وكل يوم يمضي يُدني من الأجل

كذلك قال في مختصر السيرة:

أتى وفد تجيب وفيهم شاب قال للنبي ﷺ: يا رسول الله أنا حاجتي غير حاجة أصحابي، فقال: **«وما حاجتك؟»** فقال: «أريد أن تدعو الله أن يغفر لي ويرحمني ويجعل غناي في قلبي»، فقال: **«اللهم اغفر له وارحمه واجعل غناه في قلبه»**، ثم سأل النبي عنه أصحابه في حجة الوداع فذكروا له قناعة قلبه عن الدنيا، فقال النبي ﷺ: **«إني لأرجو له أن يموت جميعاً»**. فقالوا: وهل يموت الرجل غير جميعاً يا رسول الله؟ قال: **«نعم، إذا كثرت أشغاله بالدنيا وتفرق قلبه في همومها فلا يبال الله في أي أوديتها هلك»**، أو كما قال ﷺ.

وقال شاعر:

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يُغرّ بطيب العيش إنسان

هي الأيام كما شاهدتها دول من سره زمن ساءته أزمان

انتهى.

فـروق العوائـــل

تمتاز بعض العوائل بطيب البِنْك (العِنْصِر) بالمروءة والصلة والتحمل وسخاء النفس.

بينما هنا عائلة بضد ذلك من الشح وفقر النفس وقطيعة الرحم، كان أبوهم قد كبر وأصابه نوع من الجلطة فاختلط فكره، وكانت له زوجة قد قامت بهتخدمه وترأف به وتعطف عليه، فتسلط عليها أبناءه الكبار أرادوه يطلقها حتى لا ترثه إذا مات.

وحيث كان ليس عنده فكر يميّز به حاله جعلوا يلقنونه كلمة (نعم أنا مطلق) حتى تمرن لسانه عليها، فذهبوا به إلى قاضي لا يعرفه فسأله فجعل يردد هذه الكلمة (نعم أنا مطلق) فظنه القاضي عاقلاً فكتب إقراره وأعطاهم به صك طلاق.

فأتوا لزوجته وأخرجوها من البيت، فقالت: خوفوا الله أبوكم ما عنده فكر يطلق، كيف يطلقني وأنا قائمة به أخدمه أحتسب الأجر من الله. والأب لم يشعر أنه قد طلقها، فجعل يسأل عنها: أين فلانة كيف تركتني؟ فهو يبكي عليها وهي تبكي عليه. وهو لا يزال في قبضتهم في ناحية بيتهم نسأل الله أن يعيذنا من شرور أنسنا وسيئات أعمالنا.

وسوف يظهر أثر هذه القطيعة عليهم وعلى أولادهم.

وإليك خبر عائلة أخرى بخلاف هذه: فالرجل له أولاد كبار وله زوجة أخيرة في بيت آخر وله منها أولاد صغار. وقد قام أولاده الكبار بحاجته إذا احتاج إليهم بشيء. فمرض ومات رحمه الله. وبعد نحو ثلاثة

أيام قالت لهم الزوجة: «تعالوا انظروا البيت فيه طعام وأثاث ودراهم»، فقالوا: لا نريد نفتش بيتكم، فالذي عندكم لكم كلوه، وإذا نفد أعلمونا نعطيكم. وذلك برًّا بأبيهم.

فانظر فضل هذه العائلة وأصالة بِنْكهم، وهكذا عائلتهم هنا نراهم يحافظون على الصلة ومكارم الأخلاق.

كذلك:

هنا رجل فلاح نخيل ومزرعة يعمل بها هو وأهله وأولاده (وزوجاته أربع وكل زوجة لها منه أولاد. فمرض ومات رحمه الله.

وإذا إحدى زوجاته من عائلة كريمة أهل حمية وشهامة وتحمل رحمها الله.

فاهتمت لعوائل زوجها حتى لا يضيعون جوعاً.

فاحتزمت وقالت للابن الأكبر دَعْنا أنا وأنت نقوم بهذه الفلاحة لأجل هذه العوائل يعيشون بها حتى يكبروا ويستغنوا فلا يضيعون ويحتاجون للناس.

قالت: فأنا سوف أقوم بتصريف الماء لسقى المزرعة، وأنت عليك تنظيم السواني والبعارين (المعاويد) فقاما بذلك خمساً وعشرين سنة، فاستداموا عزهم وشرفهم وفضيلتهم. الله أكبر يا للفضائل.

تلك المناقب لا قُعْبان من لَبَن ... شِـيْبا بـماء فعـادا بعـدُ أَبْـوَالا

انتهـــى.

* * *

مشكلة قيم العائلتين في هذا الزمان

قد يكون للرجل عائلتان، عائلة أولى: أولاد كبار قد اتحدوا وصار لهم أعمال يكتسبون بها لأنفسهم. والأب كانت له زوجة أخرى وأولاد صغار، فهو يجهد نفسه ليقوم بشئون هذه العائلة الصغيرة.

ولكن أولاده الكبار يريدونه يعطيهم مثل ما ينفق على هذه العائلة الصغيرة، ثم يذكرون الحديث: «**اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم**» وهم ما يعطون أباهم من اكتسابهم مثل فعل أولاد الأولين، كما جاء في الحديث: «**أنت ومالك لأبيك**» رواه أحمد وأهل السنن. وفيه شعر قاله الأب في ابنه عند النبي ﷺ قال:

غـذّيتك مولـوداً وعلتـك يافعـاً	تُعَـلُّ بـما أُسْـدي إليـك وتنهـل
إذا ليلة ضاقتك بالسُّقم لم أبت	لغمــك إلا ســاهراً أتملمــل
كأني أنا المطروق دونـك بالـذي	طقت بـه دوني وعيناي تهمـك
تخاف الردا نفسي عليـك وإنهـا	لـتعلم أن المـوت شيء مـسجل
فلـما بلغـتَ الـسن والغايـة التي	لهــا مــدة كنــتُ فيــك ءأمــل
جعلت جزائي غِلظـة وفـضاضة	كأنـك أنـت المـنعم المتفـضل
فليتـك إذ لم تـرع حـق أبـوتي	فعلت كما الجار المجاور يفعـل

فعند ذلك قال النبي ﷺ: «**أنت ومالك لأبيك**» لهذا يجب على الأولاد الكبار أحد أمرين: إما أن يعطو أباهم اكتسابهم مثل ما يفعل أولاد

الأولين. لأجل يستطيع الأب يعدل في عائلتيه، وإن اختصوا باكتسابهم فهم يقومون بشئون أنفسهم وهو يقوم بعائلته الصغيرة إن استطاع. ومع ذلك لا يسقط عنهم وجوب بره وصلة عائلته ومساعدتهم لأنهم قرابتهم من أبيهم. لاسيما مع كِبَر الأب وعجزه عن العمل. وإذا رأوا من الأب بعض الخطأ في التصرف فلا يمنع من بره، وجاء في مثل ذلك «**أدوا الحق الذي عليكم واسألوا الله الذي لكم**» متفق عليه. هذا ما نراه كما ترى والله الموفق. انتهى.

* * *

يتظلمون وهم الظالمون

* قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه للقاضي: «إذا أتاك الخصم قد فقئت عينه فلا تحكم له حتى يأتي خصمه، فلعله إذا أتى خصمه وإذا هو قد فقئت عيناه كلها».

* وجاءت امرأة تبكي عند القاضي تشتكي فقال صاحبه: ما أراها إلا مظلومة يرحمك الله، فقال القاضي: وما يدريك؟ فقال: لبكائها، فقال: لا تقل هكذا، فإن إخوة يوسف جاؤوا أباهم عشاءً يبكون وهم له ظالمون.

* وأنكرت امرأة ابنها وقد صار رجلاً وتبرَّأت أن يكون ابناً لها، والابن يريد إلزامها أنها أمه، فاختصما إلى الإمام علي بن أبي طالب، فاتهمها بالخيانة، فلما أصرت على إنكاره قال لها علي رضي الله عنه: إذا ما هو ابنك فإننا سوف نزوجه إياك؟ فقالت: لا، النار النار يا أمير المؤمنين هو ابني، فانتخا علي وقال: «أنا أبو الحسن».

والقصص هنا كثيرة، وقد ذكرنا بعضها سابقاً. انتهى.

* * *

حديث عظيم في بيان عذاب القبر: البرزخ

من كتاب رياض الصالحين

روى البخاري عن سَمُرَةَ بن جُندب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ مِمَّا يُكثر أن يقول لأصحابه: «هل رَأى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤيَا؟» فيَقُصُّ عليه مَن شاء الله أن يَقُصَّ.

وإنه قال لنا ذات غداة: «إِنَّهُ أَتَاني الليلة آتيانِ، وإنَّهما قالا لي: انْطَلِقْ، وإنِّي انْطَلَقْتُ معهُمَا، وإنا أَتَيْنَا على رَجُل مُضطجع، وإذا آخرُ قائمٌ عليه بصخرةٍ، وإذا هو يهوِي بالصخرة لرأسه، فيَثْلَغُ رأسه، فيَتَدَهْدَهُ الحَجَرُ ها هُنَا، فيتبع الحجرَ فيأخذهُ، فلا يرجعُ إليه حتَّى يَصِحَّ رأسه كما كان، ثُمَّ يعُودُ عليه، فيفعل به مِثْلَ مَا فَعَلَ المرَّةَ الأُولى!» قال: «قلتُ لهما: سُبحان الله! ما هذان؟ قالا لي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ.

فانْطلقْنَا، فأَتَيْنَا على رجُلٍ مُسْتَلْق لِقَفَاه وإذَا آخر قائمٌ عَلَيْهِ بكلُّوب من حَدِيْدٍ، وإذا هُو يَأتي أَحَدَ شَقِيَّ وَجْهه فَيُشَرشِرُ شِدقَهُ إلى قَفَاه، ومِنْخَره إلى قَفاهُ، وَعَيْنهُ إلى قَفَاهُ، ثُمَّ يَتَحَوَّل إلى الجانبِ الآخَرِ، فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بالجانبِ الأوَّل، فما يفرُغُ من ذلك الجانبِ حتَّى يصحَّ ذلك الجانبُ كما كَانَ، ثُمَّ يَعُوْدُ عَلَيْهِ، فيفعل مثلَ ما فعلَ في المرَّة الأولى» قال: قلتُ: سُبحان الله! ما هذان؟ قال: قالا لي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ.

فانْطلقْنَا، فَأَتَيْنَا على مثل التَنُّورِ فأحسبُ أنهُ قال: فإذا فيه لغَطَ وأصْواتٌ، فاطَّلَعْنَا فيه فإذا فيه رجالٌ ونساءٌ عُراةٌ، وإذا هم يأتيهم لهبٌ من أسفلَ منهم، فإذا أتاهم ذلك اللَّهَبُ ضَوضَوْا. قلتُ: ما هؤلاء؟ قالا لي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ.

فانطلقنا، فَأَتَيْنَا على نهرٍ حسِبْتُ أنَّه كان يقول: «أحمرُ مثلُ الدَّمِ وإذا في النهر رجلٌ سابحٌ يسبحُ وإذا على شطِّ النهر رجلٌ قد جمع عنده حجارةً كثيرة، وإذا ذلك السَّابحُ يَسْبح ما يسبح، ثُمَّ يأتي ذلك الذي قد جَمَعَ عندهُ الحجارةَ فيفغر له فاهُ، فيُلقمه حَجرًا، فَيَنْطَلِق فيسبح، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ، كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ، فغرفاه، فألقمه حجرًا. قلت لهم: ما هذان؟ قالا لي: انطلقْ انْطَلِقْ.

فانْطَلَقْنا، فَأَتَيْنَا على رَجُلٍ: كرِيه المرآة، أو كأكره ما أنت راءٍ رجلاً مرْأى، فإذا هو عنده نارٌ يحشُّها يسعى حوْلهَا. قلتُ لهما: ما هذا؟ قالا لي: انطلق انْطَلِقْ.

فانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَوْضَةٍ مُعْتَمَّةٍ فيها من كلِّ نوْر الرَّبيع، وإذا بين ظهْرِي الرَّوضة رجلٌ طويلٌ لا أكاد أرى رأسه طُولاً في السماء، وإذا حول الرجل من أكثر ولدان رأيتُهم قطُّ، قلتُ: ما هذا؟ وما هؤلاء؟ قالا لي: انْطلِقِ انطلِق.

فانطلقنَا، فأتَيْنَا إلى دَوْحة عظيمة لم أرَ دوحةً قطُّ أعظمَ منها، ولا أحسنَ! قالا لي: ارْقَ فيها، فارتقينا فيها إلى مدينة مَبْنية بلبنٍ ذَهَب ولبن فضَّة، فأتينا باب المدينة فاستفتحنا، فَفُتِحَ لَنَا، فدخلناها، فتلقَّانا رجالٌ شَطْر من خلقهم كأحسن ما أنت راءٍ! وشطرٌ منهم كأقبحِ ما أنت راء! قالا

لهم: اذهبوا فقعوُا في ذلك النَّهر، وإذ هو نهرٌ مُعترِضٌ يجري كأنَّ ماءهُ المحضُ في البياض، فَذَهبُوا فَوَقَعُوا فيه. ثُمَّ رجعُوا إلينا قد ذَهَبَ ذلك السُّوءُ عنهم، فصاروا في أحسن صُورة.

قال: قالا لِي: هذه جَنَّةُ عدْنٍ، وهذاك منزلكَ؟ فَسَمَا بَصَري صُعُدًا، فإذا قَصرٌ مثلُ الرَّبابة البيضَاء، قالا لي: هذا منزلك؟ قلتُ لهما: بارك الله فيكُما، فذراني فأدخله. قالا: أما الآن فلا، وأنت داخلهُ.

قُلْتُ لهما: فإني رأيتُ مُنذُ الليلة عجبًا؟ فما هذا الذي رأيت؟ قالا لي: أما إنَّا سَنخَبرك:

أما الرجل الأول الذي أتيتَ عليه يُثلغُ رأسه بالحجرِ، فإنه الرجلُ يأخذُ القرآن فيرفُضُه، وينامُ عن الصلاة المكتوبة.

وأما الرجلُ الذي أتيتَ عليه يُشَرشرُ شِدقُهُ إلى قفاهُ. ومنخرِهُ إلى قفاه، وعينُه إلى قفاهُ، فإنه الرجُلُ يغدُو من بيته فيكذب الكذبة تَبْلغُ الآفاق.

وأما الرجالُ والنساءُ العراةُ الذين هم في مثل بناء التنور، فإنهم الزُّناة والزّواني.

وأما الرجلُ الذي أتيتَ عليه يَسْبح في النَّهرِ، ويُلقم الحجارة، فإنَّهُ آكِلُ الرِّبَا. وأمَّا الرَّجُلُ الكَرِيهُ المرآة الذي عند النَّار يحشّها ويسعى حولها، فإنه مالك خازن جهنَّم.

وأما الرجل الطويلُ الذي في الروضة، فإنه إبراهيم، وأما الولدانُ الذين

حوله، فكلُّ مولودٍ ماتَ على الفطرة». وفي رواية البرقاني: «وُلد على الفطرة».

فقالَ بعضُ المسلمينَ: يا رسولَ الله ﷺ وأولادُ المشركين؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «وأولادُ المشركين».

وأما القومُ الذين كانُوا شطرٌ منهم حسنٌ، وشطرٌ منهم قبيحٌ، فإنهم قومٌ خَلَطُوا عملاً صالحًا وآخرَ سيئًا، تجاوزَ اللهُ عنهم» رواه البخاري.

* * *

حكم السفر إلى الخارج للسياحة

وجه أحد الشباب المسافرين للخارج سؤالاً للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء. فقال: إنه يسافر في كل عام للخارج، وقال: إننا نقضي فترة أسبوعين في البحر والجزر اليونانية الجميلة والحدائق، كنوع من الفسحة البريئة، هل يجوز ذلك؟ مع العلم أنني أحافظ على الصلاة أنا وزوجتي - زوجتي لا تكشف عن جسدها - لا نأكل إلا الفواكه.. لا نحتك بالأجانب ورؤية عوراتهم.. أفيدونا بذلك؟

فأجابت اللجنة: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه، وبعد: لا يجوز السفر لبلاد أهل الشرك إلا لمسوغ شرعي وليس قصد الفسحة مسوغاً للسفر لقول النبي ﷺ: «**أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين**» رواه أبوداود.

ولذلك ننصحك بعدم الذهاب لتلك البلاد ونحوها للغرض المذكور؛ لما في ذلك من التعرض للفتن والإقامة بين أظهر الكفار، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**أنا بريء من كل مسلم يقيم بين المشركين**». وجاء في هذا المعنى أحاديث أخرى. وبالله التوفيق.

قلت: ويخشى عليه من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾[1].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٩٧.

الناس ذوو أحوال

١- منها قوله تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾[1].

٢- وقال أبو العتاهيــة:

النـــاس فـــي غفلاتهـــم ورحـــا المنيـــة تطحـــن

٣- وقد قيل: الدنيا حلوٌ رضاعها مُرٌّ فطامها.

٤- قال: واحِلوك يوم: قال: على ناس وناس: يعني ليس حلواً على الجميع.

٥- ويقال: كل فرحة يعقبها ترحة. لاسيما مع قلة الشكر.

٦- قيـــل:

إيلا صار ما للبيض وَالٍ يهينـه ركبت على كيرانها والموارك

يعني: إذا ما كان للمرأة قيم يصونها ويحفظها وإلا تفارط أمرها.

والإهانة هنا هو صيانتها وهو في الحقيقة كرامتها وشرفها وأمنها.

وقال في قصة سابقة:

جانا الجواب وحط بالضماير إلهود والعين هلت مثل وبل الخيال

يا مترف الذرعان ما حشت انا فود وإيلا ذكرت الدَّيْن شيب ابحالي

من رحت وأنا عنك بالعذاب مطرود جلون عنك امجمعين الحلال

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٢.

قيـــل:

يا ما على صحكات بقعا تلزيت مَـرٌّ عـلى بَـرْد ومـر سـموح...

وقيـــل:

يـا عاشـق الـدنيا تأهـب للـذي قــد نالــه العــشاق كــل زمــان

وقال أبو مُصيهر:

وإن تعجب الـدنيا رجـالاً فإنهـا متــاع قليــل والــزوال قريــب

قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ﴾[1] يعني فاطلب جميع حوائجك منه وادعه وتضرع إليه.

قوله: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾[2] أي المرجع إليه إما إلى الجنة وإما إلى النار، فانظر لنفسك قبل فوات الأوان.

كما قيــل:

هـي الـدنيا كـما شـاهدتها دِوَل مــن سره زمــن ســاءته أزمــان

وقال عامر بن ربيعة رضي الله عنه: نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾[3]، أي: في غفلة بالدنيا عن الآخرة. فقد غلب الهوى على النفوس فلا ترعوي لأمر الله ونهيه، قال تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾[4].

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٢١.

(٢) سورة النجم، الآية: ٤٢.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

وقال النبي ﷺ: «**خير ما للمرأة أن لا ترا الرجال ولا يرونها**».

وقال: «**المرأة عورة، فإذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان**» رواه أبوداود وغيره.

ولهذا لما حج النبي ﷺ بأزواجه قال لهن: «**هذه والزمن الفرش**» وصية بعدم خروج المرأة من البيت. ولهذا لم يحج بعضهن بعد حجتهن معه عملاً بنهيه عن خروجهن. سمعت ذلك من شيخنا صالح السكيتي في شرحه ذلك.

ولكن بعض الناس ينزلون الأحكام الشرعية حسب رغباتهم، وكم مريد للخير لم يصبه. قاله ابن مسعود رضي الله عنه.

فينطبق على بعضهم قول الشاعر:

ستعلم إذا انجلى الغبار أفرس تحتك أم حمار

فأكثر الناس يغلبه الهوى على الهدى ويغلبه الطمع على الورع. وفي المثل: (الأحدب، يعرف ينام) يعني لماذا التعامي عن الحقيقة.

وقال الشافعي في المروءة:

يالهف نفسي على مال أفرقه على المقلين من أهل المروءات
إن اعتذاري ممن جاء يسألني ما ليس عندي لإحدى المصيبات

انتهى.

* * *

أصول مكارم الأخلاق

في الصحيح وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، فكان يأتي حِراء فيتحنث فيه (وهو التعبد الليالي ذوات العدد) يتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها. حتى فجأه الوحي وهو في غار حراء، فجاءه الملك فيه فقال: «اقرأ، قال رسول الله ﷺ: فقلت: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فغطني الثانية ثم الثالثة كذلك، ثم قال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[1].

فرجع بها رسول الله ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال: «زملوني زملوني» فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال: يا خديجة مالي؟ وأخبرها الخبر وقال: قد والله خشيت على نفسي فقالت له: «كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم، وتقري الضيف، وتصديق الحديث، وتحمل الكل، وتُكْسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق» الحديث.

فانظر إلى فضيلة عقلها إذ تعرف أن من عادة كرم الله تعالى أنه لا

(١) سورة العلق، الآيات: ١-٤.

يخيِّب من قام بهذه الخصال الطيبة «إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً».

وكذلك حديث عبدالله بن سلام رضي الله عنه حيث كان من أحبار اليهود بالمدينة يقول: «لما هاجر النبي محمد ﷺ وقدم المدينة انجفل الناس إليه فكنت فيمن جاءه، فلما تأملت وجهه واستبنته عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب: فكان أول ما سمعت من كلامه أن قال: «أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصِلوا الأرحام، وصلّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام» رواه الترمذي وصححه.

ولهذا أسلم عبدالله بن سلام وتابع النبي محمداً ﷺ، وحسن إسلامه حيث عرف الحق حقيقة. رضي الله عنه.

تلك المناقب لا قُعبان من لبن   شِيْبا بماء فعادا بعدُ أبْوالا

انتهى.

* * *

وصايا ومواقف ليلة الزفاف

من كتاب صفوة الأخبار

حفل تاريخنا العربي بأمجاد متنوعة، ومواقف رائعة خلّدها أسلافنا ذكوراً وإناثاً، ونحن وإن كان لدينا كثرة من الرجال نبغوا في مختلف فنون العلم والثقافة والأدب، وتقدموا في ميادين القيادة والسيادة، فإننا لا نعدم نساء عربيات كن كالشموس المشرقة في مختلف الميادين فعُرِفْن برجاحة العقل وعذوبة المنطق ونظم الشعر وقول الحكمة والذكاء الخارق ورباطة الجأش وقوة التحمل.

ومن منا لا يذكر وصية امرأة عوف بن محلم الشيباني لابنتها ليلة زفافها؟! خلت تلك الأم الرحيمة الحكيمة بابنتها فأودعت في وصيتها تجارب سنين طويلة وقالت: أي بنية، لو تُركت الوصية لأحد لحسن أدب أو لكرم حسب لتركتها لك، ولكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل. أي بنية. إنك فارقت بيتَك الذي منه خرجتِ، وعُشّك الذي فيه درجتِ، إلى رجل لم تَعرفيه، وقَرين لم تألفيه، فكُوني له أمةً يكن لك عبداً، واحفظي له خصالاً عشراً يكن لك ذُخراً. أما الأولى والثانية: فالخضوع له ب القناعة، وحسن السمع له والطاعة. وأما الثالثة والرابعة: فالتفقّد لموضع عينه وأنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح. وأما الخامسة والسادسة: فالتفقّد لوقت مَنامه وطعامه، فإنّ تواتر الجوع مَلهبة، وتَنغيص النوم مَغضبة. وأما السابعة والثامنة: فالاحتراس بماله،

والإرعاء على حَشَمه وعياله، ومِلاك الأمر في المال حسن التقدير، وفي العيال حسن التدبير. وأما التاسعة والعاشرة: فلا تعصين له أمراً ولا تُفشين له سرًّا، فإنّكِ إنْ خالفتِ أمْرَه أَوْغرْت صدرَه، وإنْ أفْشَيت سِرَّه لم تأمَني غَدْرَه، ثم إيّاك والفرحَ بين يديه إذا كان مُهْتمًّا، والكآبة بين يديه إذا كان فرحاً!.

ومن الوصايا الحسنة في مثل هذه المناسبة: ما كان يفعله الآباء مع بناتهن أيضاً ليلة زفافهن، لتستقر حياتهن ويسعدْن في ظل زوجية قائمة على الحب والتفاهم. قال الفرافصة الكلبي لابنته حين جهّزها إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه: يا بنية، إنّك تَقْدمين على نساء قريش، وهنّ أقْدر على الطّيب منكِ، فلا تُغْلبي على خَصْلتين: الكحل والماء، تطهّري حتى يكون ريحُك ريح شَنٍّ أصابه المطر.

وأوصىٰ أب ابنته ليلة زفافها فقال: إيّاك والغَيْرة، فإنها مفتاح الطّلاق، وعليكِ بالزينة، وأَزْينُ الزينة الكِحْل، وعليك بالطّيب، وأَطْيبُ الطّيبِ النظافة بالماء، وكوني كما قلتُ لأُمّك في بعض الأحايين:

خُذِي العفو مني تَسْتديمي مَوَدّتي ... ولا تَنْطِقِي في سَوْرتي حين أغْضبُ
ولا تنقريني نقرك الدف مرة ... فإنك لا تدرين كيف المغيب
ولا تكثري الشكوىٰ فتذهب بالهوى ... ويَأْباك قلبي والقلوب تقلّب
فإني وجدتُ الحبَّ في الصدر والأذىٰ ... إذا اجتمعا لم يَلْبَثِ الحبُّ يذهبُ

وإذا كان في الأبوين من يحرص على وصية ابنته بطاعة زوجها وموافقته فإن البعض من «الحموات» يوصين بقبح المعاشرة والتطاول على الزوج!.

قالت امرأة لابنتها ليلة زفافها: يا بنية، اقلعي زُجَّ رُمْح زوجكِ أولاً، فإنْ أقرّ فاقْلعي سِنَانه، فإنْ أقرّ فاكسري العظام بسيفه، فإن أقرّ فقطّعي اللحم على تُرْسِه، فإنْ أقرّ فضَعي الإكاف على ظَهْرِه فإنما هو حمار.

وكان الآباء يوصون «الصّهر» بالإحسان والرفق وإكرام الفتاة. قال عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان: أرسلني أبي إلى عمي لأخطب إليه ابنته، فأقعدني جنبه وقال: مرحباً بابنٍ لم ألِدْه، أقرب قريب، خطبَ إليّ أحبّ حبيب، لا أستطيع له ردًّا، ولا أجد من تَشْفيعه بدًّا، قد زوّجتكما وأنت أعزّ عليّ منها، وهي أنوط بقلبي، فأكْرمْها يعذُب على لساني ذِكْرُك، ولا تُهِنْها فيَصْغُر عندي قَدْرُك، وقد قرّبْتُك من قُرْبك، فلا تُباعِدْ قَلبي من قَلْبِك!.

وكتب أحدهم إلى «صهره»: قد وجّهْتُ الوديعة إليك وإنما نقلت من وطن إلى سكن ومن مأوىٰ عزّ وانعطاف، إلى مأوىٰ برّ وألطاف، وهي بَضعة مني انفصلت إليك، وثمرة من جنىٰ قلبي حصلت لديك!

وإذا كانت المرأة في الجاهلية مهضومة الحق مهيضة الجناح ضعيفة محتقرة، فإن هذا لا يسري على جميع الطبقات ومختلف الفئات، فلقد كانت بعض النساء يتمتعن بحقوق كثيرة ويشاركن في مختلف القضايا والآراء، وكان جوارهن محترماً، وكنّ كثيراً ما يلجأن إلى حث الأزواج على الإصلاح بين المتخاصمين من القبائل والعوائل والأشخاص في كثير من الصراعات أو يدفعنهم لإيقاف حرب طاحنة ومعارك مستعرة ليكون ذلك لهم مجداً وذكراً، وكرامة وفخراً، وكنّ يخترن الزوج الذي يرغبْن، والشاب الذي يُرِدْنه لذلك.

قال الحارث بن عوف بن أبي حارثة لخارجة بن سنان: أترى أني

أخطب إلى أحد فيردّني؟ قال: نعم. قال: ومنهو؟ قال: أوس بن حارثة بن لام الطائي. قال: اركب بنا إليه، فركبنا إليه حتى أتينا أوس بن حارثة في بلاده فوجدناه في فناء منزله، فلما رأى الحارث بن عوف قال: مرحباً بك يا حارث، ثم قال: ما جاء بك؟ قال: جئت خاطباً. قال: لست هناك، فانصرف ولم يكلمه، فدخل أوس على امرأته مغضباً. فقالت له: من الرجل الذي سلّم عليك فلم تطل معه الوقوف ولم تكلمه؟ فقال: ذلك سيد العرب الحارث بن عوف. فقالت: فما لك لا تستنزله. قال: إنه استهجنني. قالت: وكيف؟ قال: لأنه جاءني خاطباً. قالت: ألست تزعم أنه سيد العرب؟ قال: نعم، قالت: إذا لم تزوّج سيد العرب في زمانه فمن تزوّج؟ قال: قد كان ذلك. قالت: فتدارك ما كان منك، قال: فماذا؟ قالت: بأن تلحقه فترده. قال: وكيف؟ وقد فرط مني إليه ما فرط. قالت: تقول له إنك لقيتني وأنا مغضب لأمر فلك المعذرة فيما فرط مني فارجع ولك عندي كل ما طلبت. قال: فركب في أثرهما.

قال خارجة بن سنان: فوالله إنا لنسير إذ حانت مني التفاتة فرأيته. فقلت للحارث وهو ما يكلمني: هذا أوس في أثرنا. فقال: ما أصنع به؟ فلما رآنا لا نقف قال: يا حارث أربع عليّ. فوقفنا له وكلمه بذلك الكلام فرجع مسروراً.

قال خارجة بن سنان: فبلغني أن أوساً لما دخل منزله قال لزوجته ادْعَيْ لي فلانة أكبر بناته فأتته. فقال لها: أي بنية، هذا الحارث بن عوف سيد من سادات العرب جاءني خاطباً، وقد أردت أن أزوجك منه فما تقولين؟ قالت: لا تفعل. قال: ولم؟ قالت: لأن في خلقي رداءة وفي

لساني حدة، ولست بابنة عمه فيراعي رحمي، ولا هو بجار لك في البلد فيستحي منك، ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلِّقني فيكون عليّ بذلك مسبّة. قال لها: قومي بارك الله فيك. ثم دعا بنته الأخرى فقال لها مثل قوله لأختها. فأجابته بمثل جوابها. فقال لها: قومي بارك الله فيك، ثم دعا بالثالثة وكانت أصغرهنّ سنًّا. فقال لها مثل ما قال لأختيها، فقالت له: أنت وذاك. فقال لها: إني عرضت ذلك على أختيك فأبتاه، ولم يذكر لها مقالتهما. فقالت له: والله إني الجميلة وجهاً، الرفيعة خلقاً، الحسنة رأياً، فإن طلقني فلا أخلَف الله عليه. فقال لها: بارك الله فيك.

ثم خرج إليه فقال: زوجتك يا حارث بابنتي (نهيسه) قال: قد قبلت نكاحها. وأمر أمها أن تهيئها له وتصلح شأنها، ثم أمر ببيت فضُرب له وأنزله إياه، ثم بعثها إليه. فلما دخلت عليه لبث هنيهة ثم خرج إليّ فقلت له: أفرغت من شأنك؟ قال: لا والله. قلت: وكيف ذلك؟ قال: لما مددت يدي إليها قالت: مَهْ أعند أبي وإخوتي؟ هذا والله لا يكون. ثم أمر بالرحلة فارتحلنا بها معنا وسرنا ما شاء الله. ثم قال لي: تقدّم، فتقدّمت فعدل عن الطريق، فما لبث أن لحقني، فقلت: أفرغت من شأنك؟ قال: لا والله. قلت: ولم؟ قال: قالت: تفعل بي كما يُفعل بالأمة السبية الأخيذة لا والله حتى تنحر الجزر والغنم، وتدعو العرب، وتعمل مثلك لمثلي. فقلت: والله إني لأرى همة وعقلاً، فقال: صدقت. قال: وأرجو الله أن تكون المرأة النجيبة.

فوردنا إلى بلادنا، فأحضر الإبل والغنم ونحر وأولم. ثم دخل عليها وخرج إليّ، فقلت: أفرغت من شأنك؟ قال: لا والله. قلت: ولم ذاك؟

قال: دخلت عليها أريدها فقلت لها: قد أحضرت من المال ما تريدين. قالت: والله لقد ذكرت من الشرف بما ليس فيك. قلت: ولم ذاك؟ قالت: أتستفرغ لنكاح النساء، والعرب يقتل بعضها بعضاً ـ وكان ذلك في أيام حرب قيس وذبيان ـ قلت: فماذا تقولين؟ قالت: اخرجْ إلى القوم فأصلحْ بينهم ثم ارجعْ إلى أهلك فلن يفوتك ما تريد. فقلت: والله إني لأرى عقلاً ورأياً سديداً. قال: فاخرج بنا، فخرجنا حتى أتينا القوم فمشينا بينهم بالصلح فاصطلحوا على أن يحسبوا القتلى، ثم تؤخذ الدية. فحملنا عنهم الديات، فكانت ثلاثة آلاف بعير فانصرفنا بأجمل ذِكر، ثم دخل عليها فقالت له: أما الآن فنعم فأقامت عنده في ألذّ عيش وأطيبه!!.

والليالي حبالىٰ كما يقولون، ولن نعدم أن نرىٰ العظيمات إلى جانب العظماء والأدبيات إلى جانب الأدباء، وهل يعجز الزمان أن يتمخض عن مثل هذا الطراز من النساء؟!

قال شريح: تزوجت امرأة صغيرة فلما بَنَيْتُ بها قالت: عَرِّفْني خُلُقك لأعملَ على مداراتِك؟ فقلتُ لها: أحبّ كذا وأكره كذا، ونحن جميع فلا تفرقي، وما رأيتِ من حسنة فانْشريها وما رأيت من سيئة فاسْتُريها، ثم قالت: كيف محبّتُك لزيارة الأهل؟

قلت: ما أحب أن يملّني أصهاري. قالت: فمن تحب من جيرانك أن يدخل دارك آذن له، ومن تكرهه أمنعه؟ قلت: بنو فلان قَوْم صالحون وبنو فلان قوم سوء. قال: ومكثتْ معي حولاً لا أرى إلا ما أُحب. فلما كان رأس الحَول جِئْت من مجلس القضاء، فإذا بعَجوز تأمر وتَنْهى في الدار. فقلت: مَن هذه؟ قالوا: فلانة خَتَنَتُك، فسُرِّي عني ما كنت أجد، فلما

جلستُ أقبلت العجوز، فقالت: السلام عليك أبا أُمية. قلت: وعليك السلام، من أنت؟ قالت: أنا فلانة خَتَنُتك ـ أم زوجتك ـ، قلت: قَرَّبك الله، قالت: كيف رأيتَ زوجتك؟ قلت: خير زوجة، أمَا والله لقد أدّبت فأحسنتِ الأدب، ورُضت فأحسنتِ الرياضة. قالت: تحُب أن يزورك أختانك؟ قلت: متى شاؤوا. قال: فكانت تأتيني في كل حول مرة.

قلت: لكل زمان دولة ورجال فلينظر الرجل في صلاح حاله مع زوجته. ولتنظر المرأة ما يصلح حالها مع زوجها فإن سعادة الحياة بصلاح حال الزوجين.

انتهـــى.

* * *

قوة الإيمان ثقة بالله

لما فتح الصحابة رضي الله عنهم بلاد مصر والأمير عمرو بن العاص وجدوهم يلقون بالنيل كل سنة بنتاً جميلة مجملة في وقت محدد وإلا يقف النيل، فكتب الأمير عمرو إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بالمدينة يخبره بذلك، فكتب عمر إليه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى نيل مصر، أما بعد، إن كنت تجري بأمرك فلا تجري، وإن كنت تجري بأمر الله فاجر بإذن الله تعالى».

ثم أرسل الكتاب إلى عمرو وأمره أن يلقي الكتاب بالنيل فألقاه فيه والنيل واقف فجرى بإذن الله فما وقف حتى الآن.

ذكره ابن كثير بالبداية. رحمه الله.

* * *

محبة نبينا المشروعة في الإسلام

إن محبة نبينا محمد ﷺ واجبة معلومة عند المسلمين، والصلاة عليه في الصلاة المكتوبة بعد التشهد ركن عندنا.

فمحبته والصلاة عليه عبادة لله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾[(١)]، فتكون محبة الرسول من ثمرات محبة الله سبحانه.

وحيث أن بعض شيع النصارى في هذا الزمان قد تناولوا نبينا محمداً ﷺ بالسب والحط من قدره، فقام المسلمون بكفاحهم وبيان فضائل نبينا بالقرآن والسنة.

أما هذا الحب والتعظيم والإطراء الزائد من بعض المسلمين قد يئول بالإنسان إلى تعدي المشروع في حبه وتعظيمه فيقع في نهيه ﷺ بقوله **«لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله»** [رواه البخاري]، فالتشدد في محبته والإطراء أوقع البوصيري في المحبة الشركية بقوله في البردة:

يا أكرم الخلق مالي مَن ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمِمِ

إن لم تكن في معادي آخذاً بيدي ... فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم

فليست محبته مجرد تنطع بالقول أو الفعل، وإنما تصدق محبته بلزوم متابعته في عبادة الله وتعظيم الله سبحانه.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

أما ما يفعله بعض المسلمين من التنطع والتعمق فليس هذا كما يفعل علمائنا أئمة الدعوة ومن أخذ عنهم كلام في حلم وأناة ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴾[1].

فـالعلم للرجـل اللبيـب زيـادة ونقيـصة للأحمـق الطـائش

وإذا ضعف في القلب تعظيم الخالق سبحانه تعلق القلب بالمبالغة في تعظيم المخلوق فانشغل عن محبة الخالق وتعظيمه.

ولنحذر قوله ﷺ: «لتتبعن سَنَنَ من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لـو دخلـوا جحـر ضـب لـدخلتموه، قـالوا اليهـود والنـصارى؟ قـال فمَـن» أخرجاه. يعني فمَن غيرهم. والله أعلم. وصـلى الله عـلى نبينـا محمـد وآلـه وصحبه أجمعين. انتهـى.

* * *

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

أنت ما تعلم أين الخيرة والمنفعة بالوزير الصالح

أي ربما تكون الخيرة فيما تكره النفس بالظاهر. فعليك بالرضى بالقضى.

قيل: كان ملك قد حصل عليه شيء قطع أصبعه فتألم منه وجزع. فجعل وزيره يعزيه ويهدئه ويقول: لعله أن يكون خيرة لك. فغضب عليه وأخرجه من عنده وأبعده.

ثم إن هذا الملك حصل عليه مرة ثانية أنه اختطف وذهب به وأردوا أن يذبحونه فدية لأمر عندهم، ولكن لما رأوا أصبعه مقطوعة قال بعضهم لبعض: إنه لا يجزئ عنا وأصبعه مقطوعة هكذا. فتركوه وأرجعوه في مكانه. فطلب إحضار الوزير عنده وقال له: «الآن عرفت صحة قولك» فجعله جليسه لا يفارقه. فأوصاه الوزير بقراءة الورد صباحاً ومساءً فما أصابه مكروه بعد ذلك. انتهى.

* * *

تابع قوة فراسة القاضي

استقرض رجل من رفيق له مبلغاً من الدنانير وكتب له بها ورقة بيده، ولم يكتب بها شهوداً. وبعد مدة طلب صاحب الدراهم دراهمه من رفيقه فأنكره وقال: لم استقرض منك شيئاً. فأحضره عند القاضي فأنكره وقال: لم استقرض منه شيئاً ولم أكتب أنا هذه الورقة بيدي. فاتهمه القاضي بالخيانة فتفرّس فيه وأظهر له عدم الإلزام. وقال له: اكتب لنا جوابك هذا بهذه الورقة لأجل نفهم القضية. وأعطاه الشيخ ورقة وقلماً وجعل يملي عليه احتجاجه حتى لا يستريب الرجل.

فلما أنهى الكتابة أخذ الشيخ الورقة ينظر في الكتابة وإذا خط القلم الذي كتب هذه هو الذي كتب الورقة الأولى، فقال له: إن القلم الذي كتب هذه هو القلم الذي كتب الورقة الأولى. فثبت أن المال عندك موجب خط قلمك.

فألزمه بدفعه فاعترف وطلب من القاضي إمهاله شهرين ليحترف به فأمهله فسددها بعد. انتهى.

* * *

إصلاح المجتمع

إلى من يهمه الأمر لإصلاح المجتمع:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

كل يعرف سنة الله في خلقه أن الله جعل الليل سكناً والنهار نشوراً فيهدءون بالليل وينامون بعد العشاء مباشرة، ويقومون في الصباح المبكر ينتشرون في أعمالهم ويستريحون وسط النهار، يتساعدون على أعمالهم (الرجل وأولاده وأهله) فلا يحتاجون إلى عامل إلا قليل منهم، فيعيشون بأعمالهم يتوارثونها صاغراً عن كابر.

أما اليوم فقد فتح على البلاد تواجد العمال فأصبحوا تجاراً تولوا مزاولة أعمال التجارة، فجميع أعمال الدخل بأيديهم، ففرغ شباب الوطن ونشأوا على العطل فنشأ عنه الفساد والإفساد والفقر وتعاني منهم الحكومة مشاكل بسبب الفراغ، فأين رعات إصلاح المجتمع، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته.

ومن رعى غنماً في أرض مسبعة　　　ونام عنها تولى رعيها الأسد

فالأصلح للمجتمع إخلاء البلاد من العمال إلا عامل المزارع ونحوها، لأجل يتولى المواطنون أعمال المصالح والدخل، ومن لا يزاول أعماله هو فليتركها لمن يزاولها من المواطنين أو يعمد بها مواطناً لأجل يشترك المواطنون في مصالح المعايش.

وبذلك تخف الحركة والضغط في الشوارع والطرق والأعمال الحكومية.

ولا داعي لأن يفتح صاحب المحل عدة فروع ويجعل فيها عمالاً فإن هذا هو استغلال العمال للمصالح. وكذلك العاملات في البيوت لا تحصى أضرارها عليهم من كل وجه.

ومن الأصلح منع عموم الحركات بالليل (الأسواق والاجتماعات والتجولات والأعمال) فيكتفى بحركة النهار لتزول الأضرار والمشاكل على الشعب والحكومة وإذا مُنِع الأولاد التجول بالليل والتجمعات قاموا بالعمل بالنهار، ولو جربوا هذا وطبقوه لاستراحوا وحمدوا العاقبة.

قـد أسـمعت لـو ناديـت حيـاً ولكـن لا حيـاة لمـن تنـادي

اللهم أصلح مجتمعنا وحكومتنا وأعزهم واكفهم شر الأشرار وكيد الفجار، اللهم انصرهم ولا تنصر عليهم، آمين يا رب العالمين.

المواطن المؤلف.

* * *

الاجتماع مَعَـزّة

كان أخوان في البادية، فمات أحدهما وخلف ابناً بقى عند عمه، فلما بلغ مبلغ الرجال أراد أن يذهب عن عمه ليرفع نفسه عن التبعية يتطلب الرزق وأسباب المراجل مع الناس، فقال يسند القول إلى عمه:

يـا عـم أنـا طالبـك وَشْـق حُـرّة ملمومة الفخـذين ملمومـة الـورك

تشرب حذافير القلص يوم أفره والجيش من تحت الجواعد لها عرك

والحرة هي الناقة الذلول الطيبة.

فقال العم:

وبوك ما أردىٰ طَلْبتك بس حـره بيني وبينك والي العرش يقهرك

مـا قلـت أبي ذود بدقـه وجِلّـه وبيت كبير وضامر البطن تنحرك

إبنيـة تلاعـب اعويـد المجـره تسبىٰ اعقول أهل الهوى وأنت تبهرك

فقام العم ونصب له بيتاً إلى جانب بيته ووضع فيه أثاثاً وإدلالاً وفراشاً وعقد له على البنت وأجلسوها فيه وأدخله عليها، وأفرز له ذوداً من إبله وخصصها له. فأصبح هذا الولد رجلاً من الرجال. والعم كَسِبه ابناً له لم يلده فاعتزوا بهذا الاجتماع.

والذود قطعة من الإبل. انتهى.

* * *

كسابقه في الاجتماع

نشأ صبي عند عمه في أحد البلدان، فلما كبر وبلغ الرشد استحيا أن يأوي إلى بيت عمه، فأحب أن يرفع نفسه عن التبعية.

وكان لأبيه حوش حولهم، فأصلح له فيه غرفة سكن بها وجعل يعمل عملاً حسب أعمال ذاك الوقت ليعيش به. وصان نفسه عن السفه والسفهاء على طريق الشرف والمعزة مع ضعف حاله وعمله. وكان عمه يروده يلاحظه. فأعجبه سلوك الابن وعقله. وكان العم غنياً وعنده ابنة طيبة وأراد أن يزوجه إياها ليَكْسِبه ابناً له لم يلده ليعتز به، وخشي أن الأم تعارض كعادة بعض النساء. ولكن الرجل أتى امرأته بعزم قوي فقال لها: يا فلانة، قالت: لبيك يا أبا فلان، فقال: خذي ثيابك وأغراضك واذهبي لأهلك! قالت: لماذا؟ قال: إني أريد أن أطلقك. فوضعت يدها على قلبها وقالت: وويلي وش نَوْحِي وش جايّ مني؟ فقال: ما جاء منك إلا خير ولكن أنا أريد أن أزوج بنتي فلانة ابن أخي فلاناً وأخاف ترفعين لسانك للهاتك؟ قالت: بَرَدَها الله بالعافية حنا ما لنا رأي غير رأيك. الله يبقيك لنا تزوج أولهم وتاليهم.

فقام الرجل وجهز لهما وزوجهما وصلحت الحال وجعله معه يساعده فكَسِبه ابناً لم يلده واعتزوا بهذا الاجتماع.

وهكذا سائر العوائل ذاك الوقت. انتهى.

* * *

عجلة وتفريط وحماقة

* حمل رجل امرأته لزيارة أهلها، فلما وصلهم نزلت المرأة، فلما بدأت تطرق الباب حرك سيارته وذهب، ولكن المرأة لم تجد في البيت أحداً، فأين تذهب المرأة؟ طرقت باب الجيران ودخلت عندهم. فالواجب على الرجل أنه وقف حتى يفتح لها أهل البيت وتدخل لأجل حفظها وأمنها..

* كانت عائلة نياماً في بيتهم ليلاً فطُرق الباب فاستيقظ الرجل وخرج للشارع يكلم الطارق فانغلق باب البيت دونه وهو قد تجرد من ثوبه الذي فيه المفتاح فطرق الباب على أهله وضربه جيداً، فلم يستيقظوا فذهب للمسجد فوجده مغلقاً فبقي هكذا حتى الصباح. والحزم لو أنه سحب المزلاج حيث أراد الخروج حتى يمنع انغلاق الباب.

* حمل أحدهم أخاه أو صاحبه إلى سيارته الواقفة هناك من غير خراب فلما وصلها نزل عندها وذهب صاحب السيارة ولكن سيارة الرجل أبت أن تشتغل وصاحبه قد ذهب فحصلت عليه نكبة بذهابه عنه قبل أن يحرك سيارته.

* وكذلك أنت ينبغي لك أن تخرج مع ضيفك من البيت إلى الباب وتقف تجاهه حتى يحرك سيارته ويسحب، تكرمة له والتزاماً بحقه. انتهى.

* * *

تنشئة الأولاد في القديم

* كانوا يلهونهم عن الفراغ؛ لأن الفراغ للشباب مفسدة غالباً. كما قيل:

إن الشباب والفراغ والجِدة مفسدة للمرء أيّ مفسدة

زرنا أحد الأصدقاء الفلاحين وإذا هو قد جعل لكل واحد من أولاده عملاً يلهيه، فسألناه عن ذلك؟ فقال عن الفراغ. وكان أحد الجماعة المعتمدين في البلد له أولاد يذهبون للمدرسة الأهلية في الصباح للدراسة ويخرجون وسط الضحى وقد أعد لهم أبوهم عملاً يشغل فراغهم حتى يأتي هو من الدكان آخر الضحى.

والشغل الذي قد أعده لهم هو (أنه قد أتى بحمل حمار من الرمل النظيف ووضعه بناحية المجلس في متسع فيه، ثم يأتي بملء اصطبل من حب القمح (البُر) فيكثه على الرمل ويخلطه معه، فيأمر أولاده إذا أتوا من المدرسة أن يقوموا بالتقاط هذا الحب (القمح) وتخليصه من الرمل. وكل واحد منهم يجعل محصوله في إناء وحده ليعرف جودة عمل كل واحد منهم، حتى يأتي هو من الدكان آخر الضحى فيشتغل هو وإياهم بعمل آخر.

وفي اليوم الثاني كذلك يلقى القمح على الرمل ويخلطه معه ويأمرهم بالتقاطه. وهكذا كل يوم. وأخيراً تميزوا بالدراسة والأدب. فأنا أدركت الأولاد وأعرفهم من خيار الرجال.

وهذه الحالة كثير من الناس يركز عليها تنشئة الأولاد في القديم.

* * *

الفهرســت

الموضوع	الصفحة
الإهـــداء	٥
ترجمة المؤلف	٧
المقدمـــــة	٩
رؤيـــا صالحـــة	١٥
الغرام في الحب	١٦
وإليك شيء من وصف أحوال الأولين	١٧
منافع الأولاد لأهليهم في القديم ومن صَبَرَ ظفر	٢٣
مثال الدنيا معك	٢٥
نوادر في بر الوالدين والصلة	٢٧
شُـــكر الجميـــل	٣١
تابع الزوجة الصالحة في الأخلاق والسيرة	٣٢
قد يعيشون على الجراد	٣٤
القعير ـ والخوير: عزم وحزم	٣٦
مَن ترك شيئاً لله عوَّضه الله خيراً منه	٣٩
السجن في القديم	٤١
تابع شليويح العطاوي	٤٢

ومن الأمثال المشهورة ٤٣
نكتـــة ٤٤
نكتــة ثانيــة ٤٤
الزوجــة الوَفيـّــة ٤٥
مســـؤولية العلمـــاء ٤٦
منافســـة ٤٦
عفاف نساء أهل نجد والحمد لله ٤٨
مـــاء الوجـــه ٤٩
شدّة عناء في طلب المعيشة ٥٠
حكمة بعض الرجال ٥٣
ومن أحوال الأولين في المعايش ٥٤
وجئت على قدر يا موسى ٥٦
حكمة في سياسة الأهل ٥٨
إصلاح ذات البين ٦٠
تحمل الأولين في الشدائد ٦٢
أحوال أولاد الأولين ٦٤
بـــره بوالدتــــه ٦٦
صفاء السريرة مع الله ٦٩
اتقاء الفحش بالمروءة ٧١

من أحوال الأولين في الزواج ٧٢
عاقبة الحسد والقطيعة ٧٤
تابع .. من يفعل الخير لا يعدم جوازيه ٧٦
من أحوال البحر: منافعه وأضراره ٧٧
قوة الشعور بالشعر ٨٣
عقوق ابن .. ومروءة زوجة ٨٥
أصل الشجاعة قوة الجأش.. الضمير ٨٧
تابع.. أضرار نفس العائن ٨٩
أبـا زيـد وعبـده ٩٠
قد تعجل عقوبة البغي والقطيعة ٩٣
تابع نوادر في البر والصلة ٩٥
من حكمة وجود المماليك من الناس ٩٨
اطلب النجاة لنفسك ١٠٠
لا تحقرنّ أحداً حتى تجربه ١٠٢
في البِرِّ والصلة كسابقة ١٠٥
من مشاكل طريق الحج في القديم ١٠٨
تابع: مناقب الشيخ صالح بن أحمد الخريصي ١١٠
دعاء الله سبحانه علاج كل مشكلة وكل مصيبة ١١٢
من سياسات الأعداء ١١٥

الخَور.. بسبب عدم الاعتياد والممارسة ١١٧
جهود في طلب العلم الشرعي العتيق ١١٩
تابع: أصالـة البِنْـك ١٢٤
تابع عفاف نساء أهل نجد ١٢٥
لا تضحك، بل احمد الله أن عافاك ١٢٧
نصائح من منظومة الآداب لابن عبدالقوي المقدسي ١٣١
بر الوالدين في حياتهما ١٣٣
أوقـظ بكـنز ١٣٥
حنينها على الزوج ١٣٦
غيرة الرجل على زوجته ١٣٧
أزمات الأحوال في القديم ١٣٨
الخصـب ١٤٠
اسـتدراك ١٤٠
فائـدة ١٤١
من كرامات أولياء الله ١٤٢
ومن صفة سيرهم في الحج على الإبل ١٤٤
تواصل أهل الدِّين الحقيقي ١٤٦
المَلـول ما ينجـح ١٤٩
مرثيـة للعلـم وأهلـه ١٥١

تابع مناقب الشيخ/ صالح بن أحمد الخريصي رحمه الله ١٥٤
إحساسه بالمنكر ـ سخائه ١٥٤
التلذذ بعبادة الله تعالى نسأل الله الكريم من فضله ١٥٦
لا تزاعم من إذا قال فعل: يعني من هو أقوى منك ١٥٨
الفطرة الصحيحة الطيبة ١٥٩
فضائـــل ١٦١
(شجاعة نساء بني هلال) ١٦٢
إلحـــاق: ١٦٣
التأديب بالتواضع ١٦٥
معرفة اختلاف أخلاق الناس فن جيد ١٦٦
فراسة القاضي ١٦٦
نشرة في علاج جروح السكر ١٦٧
شـــؤم الطـــلاق ١٦٨
جَاري العزيز الغالي ١٦٩
صحة الجسم بالتعب ١٧٠
مكـــارم الأخـــلاق ١٧٠
الزهـــد الحقيقـــي ١٧١
إفادة من مختصر السيرة ١٧٤
وَصْفات أدوية شعبية لأمراض مزمنة ١٧٦

السحر الحلال .... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.
نكتة ١٧٨
علاج السحر والعين: المشروع في الإسلام فيما بلغنا ١٧٩
لا يغرنَّك طول الأمل ١٨١
فروق العوائل ١٨٢
مشكلة قيم العائلتين في هذا الزمان ١٨٤
يتظلمون وهم الظالمون ١٨٦
حديث عظيم في بيان عذاب القبر: البرزخ ١٨٧
حكم السفر إلى الخارج للسياحة ١٩١
الناس ذوو أحوال ١٩٢
أصول مكارم الأخلاق ١٩٥
وصايا ومواقف ليلة الزفاف ١٩٧
قوة الإيمان ثقة بالله ٢٠٤
محبة نبينا المشروعة في الإسلام ٢٠٥
أنت ما تعلم أين الخيرة، ومنفعة الوزير الصالح ٢٠٧
تابع قوة فراسة القاضي ٢٠٨
إصلاح المجتمع ٢٠٩
الاجتماع مَعَزّة ٢١١
كسابقه في الاجتماع ٢١٢

عجلة وتفريط وحماقة ٢١٣
تنشئة الأولاد في القديم ٢١٥
الفهرست ٢١٧

* * *